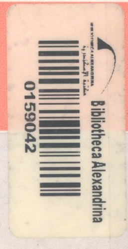
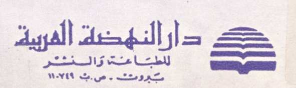
سلسلة دراسات
في التراث الإسلامي
٢

حنين بن اسحق
العصر الذهبي للترجمة

دكتور
ماهر عبد القادر محمد

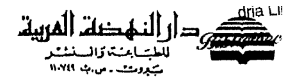




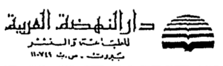
سلسلة دراسات
في
التراث الإسلامي
(٢)

حنين بن إسحق
العصر الذهبي للترجمة

دكتور
ماهر عبد القادر محمد



حقوق الطبع محفوظة



* الإدارة: بيروت، شارع مدحت باشا، بناية كريدية، تلفون: ٣٠٣٨١٦/ ٣٠٩٨٣٠/ ٣١٢٢١٣
برقياً: دانهضة، ص. ب ٧٤٩-١١
تلكس: NAHDA 40290 LE
29354 LE

* المكتبة: شارع البستاني، بناية اسكندراني رقم ٣، غربي الجامعة العربية، تلفون: ٣١٦٢٠٢

* المستودع: بئر حسن، تلفون: ٨٣٣١٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر
ونقرهم آثار الأوائل في الصخر لبطل
أول العلم وضاع آخره.

الجاحظ، الحنين إلى الأوطان

تصدير

يأتي هذا البحث ثمرة لمجهود عامين متتاليين من التحقيق والدرس في جوانب شخصية حنين بن إسحق. وقد واجهت هذه الدراسة بعض الصعوبات كان من أهمها أن المادة المعروضة في كتب التراث في القرن السابع الهجري على وجه الخصوص امتلأت بأخطاء فادحة، تدل على أن الثقافة والعلم عصر ذاك واجها أزمة حقيقية، فمع أن المادة المعروضة في تلك الكتابات، وعلى وجه الخصوص تاريخ الحكماء لابن القفطي، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري، مع أنها مادة غزيرة؛ إلا أنها تحتاج إلى وقفات ويعوزها التحقيق الدقيق، إذ إن هؤلاء كانوا يدونون كتاباتهم بدون تحري صدق الروايات المنقولة، وقد بينا هذا في بحث سابق عن مدرسة الإسكندرية وهو في طريقه إلى النشر.

كذلك يجد القارىء في ثنايا هذا البحث إشارات واضحة ومحددة إلى بعض المواضع التي وقعت فيها أخطاء في ترجمة حنين عند هؤلاء النفر. وقد رأيت أن أنبه القارىء إلى ضرورة أخذ جانب الحذر في التعامل مع مثل تلك الكتابات.

وأرى من واجبي أن أشكر الإخوة والزملاء الأفاضل العاملين في مكتبة جامعة بيروت العربية التي أفدت في التحصيل منها، فما ادخروا جهداً في تقديم كتاب، أو البحث عنه هنا أو هناك، أو تصوير أجزاء من كتاب نادر يصعب استعارته. فلقد كان لمجهودهم الطيب أبلغ الأثر

في نفس مما جعلني أكثر شوقاً لإنجاز هذا البحث، فلهم جميعاً مني أطيب الشكر.

وكــذا أرى من الـواجب عليَّ أن أشكــر تلميــذي وصـــديقي السيد / يوسف زيدان، على ما بذله من وقته في سبيل مراجعة بروفات الطبع.

وأخيراً أنوه بالجهد الذي بذله طاقم العمل في مطبعة كومبيـو تايـب الزاهرة في سبيل إنجاز هذا العمل وإخراجه في صورة لائقة للقارىء، فلهم جميعاً خالص شكري وامتناني على ما بذلوه من جهد.

والله أسأل التوفيق

وايت بالاس - بيروت في أول كانون ثاني (يناير) ١٩٨٧

ماهر عبد القادر

الفصل الأوّل

إنتقال علوم اليونان إلى العالم الإسلامي

إن البدايات الحقيقية لحركة انتقال علوم الحضارات الأخرى إلى العالم الإسلامي ترجع إلى شخصيتين: الأولى الحارث بن كلده، والثانية خالد بن يزيد بن معاوية. ونحن نجد أن شاخت وبوزورث في تراث الإسلام يذكران أن «خالد بن يزيد حفيد معاوية ابن أبي سفيان وأول الخلفاء الأمويين (٤١ - ٦٠ هـ/ ٦٦١ - ٦٨٠ م) أظهر ميولاً علمية، وكان له اهتمام خاص بالسيمياء»[1]. ويتفق عمر فروخ مع هذا الرأي إذ يرى أن بداية حركة النقل الحقيقية ترجع إلى «أن خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥ هـ/ ٧٠٤ م) لما يئس من الفوز بالخلافة انقلب إلى العلم ودرس الصنعة (الكيمياء) على راهب اسكندراني اسمه مريانوس ثم أمر بنقل كتب الصنعة إلى اللغة العربية»[2]. لكن شاخت وبوزورث يعتقدان من جانب آخر أن شخصية الحارث بن كلده الطبيب - وهو معاصر للرسول وتوفي ٣٣ هـ - أسبق إلى النقل من خالد بن يزيد، إذ أنه «يظن أن الحارث بن كلده الذي عاصر النبي في جند يسابور الواقعة على مقربة من مدينة سوسة القديمة، والتي كانت تضم أشهر مدرسة وأكفأ مجموعة من المترجمين.. وأن فن التطبيب قد قره الرسول الذي أُثِرَ عنه أن أحال بعض المرضى إلى الحارث بن كلدة»[3].

يتبين لنا من هذين النصين أن الصلات بين العرب وعلوم الثقافات الأخرى بدأت منذ النصف الأول من القرن الأول للهجرة، وقد تمت هذه

(١) شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، القسم الثالث، ص ٨٥.
(٢) عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص ١١٣.
(٣) شاخت وبوزورث، المرجع السابق، ص ٨٦.

الصلات من خلال اتجاهات خالد بن يزيد بن معاوية والحارث بن كلده، وأن علوم الصنعة، أي الكيمياء، أو السيمياء بالمصطلح القديم، والطب كانت من العلوم التي اتجه إليها العرب الأوائل.

ولم يكد يمضي الزمان حتى اتجهت أبصار المثقفين إلى علوم الثقافات الأخرى، فأخذت عمليات الترجمة تجري على قدم وساق. وقبل أن نتطرق بالحديث لحركة الترجمة تفصيلاً نود أن نشير إلى قصة هامة تبين لنا حركة العلم في العالم القديم، وكيف أصبحت العلوم القديمة على مقربة من العالم الإسلامي، بصورة أهلت الرواد الجدد لاستقبال هذا التراث وتمثله.

لقد استطاع ماكس مايرهوف Max Meyerhof أن يصور لنا هذه الفترة في مقال له بعنوان «العلوم والطب» ضمنه «تراث الإسلام» الذي اشترك في تدوينه مع جمهرة من المستشرقين، يقول مايرهوف[1]: كانت علوم الإغريق في الزمن الذي نفذ العرب إلى قلب الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية، قد أصيبت بوهن شديد ولم تعد تلك القوة الحية الفعّالة. فانتقلت إلى أيدي العلماء الذين نسخوا أو علقوا على أبحاث أرسطو وأبقراط وجالينوس وبطلميوس وأرشميدس وغيرهم. فوجد تراث الإغريق الطبي أقوى مذيع في أشخاص أيتيوس الأميدى Aetios of Amida (نبغ في الإسكندرية عام ٥٥٠ م) وبولس الأجنيطي (نبغ في ٦٢٥ م) اللذين سكنا الإسكندرية، واسكندر الترالي Alexander of Trales (نبغ في ٦٤٠ م). وازدهرت الأكاديمية العلمية القديمة في الإسكندرية عاصمة مصر خلال العصر الذي سبق الفتح الإسلامي وأصابها بعض الانتعاش، فظهرت فيها مبادىء جديدة لتدريس الطب مستندة إلى آراء جالينوس الرئيسية. ووقف جوهانس فيلوبونس الاسكندري يدافع عن نظريات أرسطو أمجد دفاع. أما الكتابات التي قرن إليها اسم أبقراط، فقد لخصها تلاميذ مدرسة الاسكندرية. ومهما يكن من أمر، فمن جهة كان أغلب سكان مصر في عصر متقدم يعتنقون الدين

(١) ماكس مايرهوف، العلم والطب، مقال ضمن تراث الإسلام، ص ٤٤٨ ـ ص ٤٥٠.

المسيحي، ومن الجهة الثانية كانوا متعصبين مغالين، مما جعل الظروف غير مؤاتية للتقدم العلمي. ولهذه الأسباب لم تكن مصر بمثابة الوسط الفعّال بين الغرب والإغريق في أمور الطب وسائر العلوم. فلا مندوحة لنا من الشخوص بأنظارنا إلى العالم الذي كان يتكلم اللغة السريانية لنجد أن المصطلحات الآرامية والسريانية الحديثة أخذت تحل محل المصطلحات الإغريقية تدريجياً وتهيمن على الأوساط الثقافية في غربي آسيا منذ القرن الثالث الميلادي فصاعداً. وكان جل حملة لواء الحضارة السريانية ـ الهلينية جماعة من النساطرة، وهي الفرقة المسيحية التي أوجدها نسطور بطريرك القسطنطينية في العام ٤٣٨ . وكان مجمع أفسوس المنعقد السنة ٤٣١ م قد أعلن هرطقة أولئك المنشقين وزيفهم عن التعاليم الكنسية. فأخذوا منذ ذلك الحين يهاجرون إلى الرها[1] Edessa، حيث أكرم ملوك الساسانيين وفادتهم. على

(١) عقب استيلاء الفرس على نصيبين سنة ٣٦٣ فر إفرايم إلى الرها، وباعتباره لاجئاً اضطر إلى كسب قوته بطريقة متواضعة، إلا أنه خصص وقت فراغه لمزاولة تعليم صحبه والمحيطين به ومناقشتهم، وقد لامه ذات يوم ناسك عجوز، حضر درسه، على اهتمامه بالعلوم الدنيوية، فدفع هذا اللوم إفرايم إلى الاعتصام بالجبل ردحاً من الزمن يتأمل ويقرأ ويؤلف.

في نفس هذا الوقت كانت حركة إحياء العلوم التي أثرت على الكنيسة تأثيراً كبيراً قائمة في كبادوكيا ومقترنة على وجه الخصوص بباسيليوس من قيصرية؛ وهذا ما دفع إفرايم إلى الرحيل إلى كبادوكيا، لكنه عاد إلى الرها لمحاربة البدع التي نشأت من تعاليم ابن ديصان ـ الذي عاش في الرها في القرن الثاني ـ والتي أثارت المدينة، ثم عاود حياة الزهد والتنسك معتصماً بالجبل، إلا أنه عاد إلى المدينة لما علم أن الرها تواجه قحطاً شديداً، وقد أفلح في مواجهته.

وقد مات إفرايم سنة ٣٧٣، ونظراً لغيباته المتكررة خلال السنوات العشر التي قضاها في الرها، لا يمكننا أن نعده مؤسس مدرسة الرها وموجهها، ولكن أثره يظهر في توجيهاته وقوته الدافعة لمجموعة الطلاب الملتفين حوله، أولئك الذين جاء التفافهم حوله بعد زيارته لكبادوكية بمثابة اتصالهم بحضارة كبادوكية.

ويبدو أن مدرسة الرها في أول أمرها كانت جماعة ليس لها صفة رسمية، حتى أنه لا يمكننا أن نعد إفرايم رئيسها الأول، ولا زينوبيوس الجزري ـ أبرز تلامذته ـ خليفته في رئاستها.

وعلى الرغم من عدم وجود السند القانوني والرسمي لهذه الجماعة، مثلما كان لمدرسة نصيبين وإنطاكية، فقد تطورت حتى صارت مدرسة شهيرة. وبما أن رئيس مدرسة نصيبين الرسمي هو مؤسسها، فيمكننا أن نعدها استمراراً لمدرسة نصيبين التي أغلقت سنة ٣٦٣، ولكن لم يثبت انتقال الأساتذة والطلبة من نصيبين إلى الرها، بما يبرر اعتبارها فرعاً من مدرسة نصيبين.

=

أنهم نفذوا إلى أقاصي الشرق بدافع من حماستهم التبشيرية فوصلوا حتى قلب آسيا واجتازوها إلى أقصى الصين الغربية.

انتقل المركز العلمي للنساطرة (كان مدرسة للطب) من الرها إلى نصيبين[1] من أعمال بلاد ما بين النهرين. ثم انتقلت مرة أخرى في غضون

= وتوجد نصوص تعد دليلاً ظاهراً على أن العمل كان يجري في أواخر القرن الرابع في الترجمة من اليونانية إلى السريانية، مثل مخطوطات كتابي «التجلي» و«شهداء فلسطين» ليوسيبوس، وكذلك محاضرات طيطس البصري ضد المانويين.

لقد كانت مدرسة الرها وطيدة الأركان وذات شهرة واسعة بين سكان ما بين النهرين وفارس ممن يتكلمون السريانية، وكان أكثر أساقفة الفرس من خريجيها.

(١) تقع نصيبين في الرقعة التي تخلت عنها فارس لروما سنة ٢٩٨. وقد حصنها الرومان تحصيناً قوياً؛ نظراً لموقعها الهام على الطريق الرئيسي بين شمال ما بين النهرين وبين دمشق. ويبدو أنه كان فيها بعض المسيحيين، إلا أنه كان يسكنها أيضاً كثير من اليهود، الذين عانوا كثيراً - فيما يبدو - عند استيلاء الرومان على مدينة نصيبين، والقضاء على مدرستهم فيها، وعلى كل فلا ذكر للمدرسة بعد هذا التاريخ.

وبعد سنة ٣٢٥ بفترة، أنشأ يوسطاثيوس أسقف أنطاكية مدرسة بها على نمط مدرسة الإسكندرية العظمى، وقد حذا حذوه الأسقف يعقوب فأنشأ على نمطها مدرسة في نصيبين، كان هدفها الأول هو نشر اللاهوت اليوناني بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية.

وقد أقيم على رأس هذه المدرسة شيخ اسمه إبراهيم (إفرايم)، صار معلماً شهيراً ورفع اسم المدرسة حتى أصبحت مدرسة نصيبين ذات شهرة واسعة. ولم يكن هذا الشيخ أول من كتب بالسريانية، لكنه صار على الدوام في العصور التالية الحجة المعتمدة في اللغة السريانية الفصحى. وقد رأس المدرسة ما يقرب من ستين سنة.

وبعد نهاية حملة جوليان المشؤومة ضد فارس سنة ٣٦٣، تنازلت روما لفارس عن الولايات الخمس التي حصلت عليها سنة ٢٩٨، وفي خلال هذه الحرب قام إفرايم بدور هام في الدفاع عن المدينة ضد الفرس، إلا أنه بعد وقوع كارثة انتصارهم على الروم، أدرك استحالة بقائه في مدينة نصيبين فهرب إلى الرها.

ولكن مدرسة نصيبين لم تنتقل إلى الرها، فقد تشتت عقب سقوط نصيبين في أيدي الفرس، ونظراً لأن إفرايم رئيسها قد قام باستئناف نشاطه في الرها؛ فقد كان هناك استمرار بين هاتين المدرستين. ويمكن أن تعد مدرسة الرها بعثاً لمدرسة نصيبين.

وقبل حلول سنة ٤١٢ بقليل، قامت حركة إحياء للعلوم بدأت فيما يبدو في آسيا الصغرى، وخاصة في كبادوكيا إذ يرجع اتصالها بحركة التقدم الكنسي التي كان مركزها قيصرية في كبادوكيا، وقد انتقلت هذه الحركة العلمية إلى الطائفة التي تتكلم السريانية خلال القرن الخامس. هذا وقد بلغت الكنيسة ذروتها فيما سمي بالقداس المنقح والحركات الإصلاحية التي تناوبت هذا القداس.

النصف الأول من القرن السادس إلى جند يسابور[1] في غربي إيران. وكان ملوك الساسانيين قد أنشأوا مستشفى كبيراً يجاوره معهد دراسي وذلك في القرن الرابع. ثم جاء الملك العظيم كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٩ م) فجعلها أهم مركز ثقافي في ذلك الحين. وإلى هذا المكان نزح علماء الإغريق من أثينا عندما أغلق جستنيان جميع المدارس الفلسفية في عام ٥٢٩ م. فالتقوا هناك بعلماء السريان والهند والفرس، فنجم عن هذا نشاط علمي كان له أهمية في تقدم الفكر الفلسفي.

لقد أردت أن أنقل للقارىء من خلال هذا النص الذي يذكره ماكس مايرهوف صورة حية لحركة انتقال العلم اليوناني من العالم القديم إلى مناطق قريبة من العالم الإسلامي، أو على وجه التحديد إلى الرها ونصيبين ثم جنديسابور، وهذه المناطق على مشارف القرب من شبه الجزيرة العربية شمالاً.

= على أن هذا الإصلاح في القداس لم يكن إلا نتيجة ثانوية لموجة واسعة فعّالة من التأثير الثقافي امتدت من كبادوكيا حتى القسطنطينية، ومن ثم انتقلت عن طريق الكنائس الشرقية إلى آسيا.

إن الرها باعتبارها مركز كنيسة الشعوب المتكلمة بالسريانية، وباعتبارها موطن الجانب السرياني من الحياة العقلية اليونانية في الشرق، قد أصبحت مركز انتشار ضياء النهضة الكبادوكية.

(١) وقع كثير من جند فاليريانوس أسرى في يد سابور، الذي كان يعلم فضل الرومان وحضارتهم؛ لذا فقد عومل هؤلاء الأسرى الذين كانوا على شيء من العلم والمهارة الفنية معاملة كريمة. وكان سابور يأمل في استخدام هؤلاء الأسرى كمهندسين أو معماريين أو أطباء أو مساحين للأرض... الخ.

لذا فقد أسكنهم في ثلاث مدن، لهم فيها الحرية المطلقة بأن يعيشوا وفقاً لقوانينهم ويتكلموا لغتهم الخاصة ويتبعوا دينهم الخاص بهم.

وبالغرب من السوس كانت إحدى هذه المدن الثلاث، وكانت تسمى «به إز أنديو شافور»، أي «شافور خير من أنطاكية» أو جند يسابور، أي عسكر سابور. وكانت جند يسابور عاصمة خوزستان، في عهد الساسانيين.

وفي ظل الحرية التي تمتع بها الأسرى تحت حكم الفرس، سمح للمسيحيين منهم ببناء الكنائس وصيانتها، في الوقت الذي كانت المسيحية لا تزال مضطهدة من الحكم الروماني.

وربما اعتقد البعض أن حركة الاتصال الثقافي قد قطعت أوصالها في فترات معينة، إلا أن هذا الرأي ليس له ما يؤيده، فالكتابات العربية القديمة التي بين أيدينا تشير بلا شك إلى أن حركة الاتصال الثقافي ظلت مستمرة بين الامبراطورية الإسلامية والمجامع العلمية القديمة التي تكونت في مناطق قريبة منها، ولم تكن حركة الانتشار الإسلامي أو الفتوحات تمنع بحال من الأحوال هذا الاتصال، وإنما كانت تزيد الروابط فاعلية ونشاطاً، وهاك ما يذكره ابن أبي أصيبعة نقلاً عن الفارابي الذي لخص حركة استمرار الاتصال الثقافي حيث يقول: «انتقل التعليم - بعد ظهور الإسلام - من الاسكندرية إلى أنطاكية، وبقي بها زمناً طويلاً، إلى أن بقي معلّم واحد، فتعلم منه رجلان، وخرجا ومعهما الكتب، فكان أحدهما من أهل حران، والآخر من أهل مرو- وكانت مرو عاصمة خراسان. فأما الذي من أهل مرو فتعلم منه رجلان، أحدهما إبراهيم المروزي، والآخر يوحنا بن حيلان. وتعلم من الحراني، إسرائيل الأسقف، وقويري. وسارا إلى بغداد، فتشاغل إسرائيل بالدين، وأخذ قويري في التعليم. وأما يوحنا بن حيلان، فإنه تشاغل أيضاً بدينه، وانحدر إبراهيم المروزي إلى بغداد، فأقام بها. وتعلم من المروزي، متى بن يونان، وتعلمت[1] من يوحنا بن حيلان، وقرأت عليه إلى آخر كتاب البرهان»[2].

ولكن كيف يمكن تصور حركة العلم داخل العالم الإسلامي؟ هل كانت هناك شخصيات هامة تقف وراء هذه الحركة؟ أو بمعنى آخر هل قدمت الدولة الرعاية للحركة العلمية، أم أن هذه الحركة سارت بدون تخطيط أو سند من الدولة؟.

هناك بعض الكتابات العربية القديمة والحديثة أيضاً تذكر أن حركة الترجمة والنقل إنما جاءت نتيجة لرؤية، رآها الخليفة المأمون على ما يذكره

---

(١) أي الفارابي.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٣٥.

ابن النديم في الفهرست حيث يقول: «أن المأمون رأى فيما يرى النائم كأن رجلاً على كرسي كان جالساً في المجلس الذي كان المأمون فيه فتعاظمه وتهيبه، ثم سأل عنه فقيل له هو أرسطو طاليس فعن له أن يسأله، فتقدم منه وقال: ما الحسن؟ فأجاب ما استحسنته العقول، فقال المأمون ثم ماذا؟ فأجاب ما استحسنته الشريعة، فقال المأمون ثم ماذا؟ فأجاب ما استحسنه الجمهور. فلما سأله ثم ماذا؟ أجاب ثم لا ثم. وأضاف الرواه إلى ذلك أن هذا هو الذي حد بالمأمون إلى إخراج كتب الحكماء ونقلها إلى اللسان العربي».

إلا أن بعض المعلقين على هذه الرواية لا يستبعدونها، ويرجعونها في المقام الأول للتحليل السيكولوجي للأحلام، وأنها ربما جاءت نتيجة لبعض الآمال أو العناء أو ما إلى ذلك من العوامل، فضلاً عن أنها توضح مدى انشغال المأمون بأمور العلم.

ونحن إذا صدقنا هذه الرواية وقعنا في مخاطر عديدة لا تتفق مع منطق الحوادث وسياقها التاريخي، ولذا فإن لدينا مجموعة من الأسباب تشير إلى أن هذه الرواية لا تعبر عن واقع تاريخي موضوعي، ومنها:

أولاً: أن حركة الترجمة الحقيقية، والاشتغال بالعلوم المختلفة، لم تبدأ في عصر المأمون، بل ولم يكن الخليفة المأمون هو أول من أمر بالترجمة والنقل. لقد نشطت حركة الترجمة من السريانية إلى العربية، ومن الإغريقية إلى العربية منذ أيام المنصور ثاني خلفاء الدولة العباسية قبل المأمون بزمن. أما في عصر المأمون ذاته فقد بلغت هذه الحركة من الازدهار ما لم تبلغه من قبل.

ثانياً: أن حركة الترجمة هي إحدى حلقات العلم وانتقاله من بيئة إلى أخرى، وهذا الانتقال إنما يجيء بفعل مجموعة من العوامل السسيولوجية والسيكولوجية التي تجعل العلم يأخذ في حركته مساراً معيناً دون غيره، وعلى هذا فإن العلم كغيره من الظواهر يعتبر ظاهرة، وبالتالي تصبح حركة الترجمة

ذاتها إحدى ظواهر العلم. ولكن علينا أن نأخذ هذا التعبير بحذر وحيطة، لأن هناك مجموعة من العوامل السسيولوجية تؤدي إلى انتشار الظاهرة في بيئة بعينها دون غيرها، وهذه العوامل متشابكة.

ثالثاً: أنه يمكن لنا أن نحلل الرواية أصلاً ـ وهي مأخوذة من ابن النديم ـ على أساس أن صاحب الفهرست لم يجد سبباً كافياً من بين الأسباب العديدة يذكر أنه الباعث على حركة الترجمة. والقصة أصلاً كما يرويها ابن النديم تشير إلى تعلق زائد بالجانب الغيبي.

إننا إذا أردنا أن نحدد الأسباب الحقيقية لحركة الترجمة، كان علينا بالضرورة أيضاً، كما سبق أن أشرنا، أن نعالج تلك الحركة، باعتبارها ظاهرة سسيولوجية، وهذا يدفعنا إلى تلمس الأصول الأولى لمنبت هذه الحركة، وهو ما يمكن أن نشير إليه فيما يلي:

١ ـ كان الدين الإسلامي يشكل خطورة كبيرة بالنسبة لأصحاب الديانات الأخرى خاصة اليهودية والمسيحية، وكانت اليهود تعيش في الأوساط العربية في شبه جزيرة العرب، وكانوا يعلمون من ديانتهم أن هناك رسولاً سوف يبعث إلى البشرية، وهم من الناحية السيكولوجية يتمنون أن يكون الرسول الجديد من بني إسرائيل، فلما خاب ظنهم، أخذوا يحاورون الرسول ﷺ ويجادلونه في كثير من الأمور منها ما تعلق بالماضي، وما يتعلق بالحاضر والمستقبل، والرسول ـ كما نعلم ـ لم يكن له سابق علم ودراية بعلوم الأقدمين وأحوالهم، وكان الوحي مصدره الوحيد في المعرفة، فلما كانوا يسألون كانت تأتي إجابة الرسول من خلال الوحي بصورة تقطع الشك باليقين. لم تكن اليهود تسأل فحسب، بل شجعوا أصحاب الاتجاهات الأخرى على الخوض في مثل هذا الأمر. ولكن ما هي طبيعة الأسئلة التي كانت توجه إلى الرسول، وما هي الإجابات التي قدمت عليها؟.

إن مجموعة التساؤلات التي وجهت إلى الرسول عليه الصلاة

والسلام يمكن إيجازها فيما يلي:

- ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾ (البقرة: ٢١٩).
- ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ (البقرة: ١٨٩).
- ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ (البقرة: ٢١٧).
- ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ﴾ (البقرة: ٢٢٢).
- ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ (الإسراء: ٨٥).
- ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً ﴾ (الكهف: ٨٣).
- ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ﴾ (المائدة: ٤).
- ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرسها قل إنما علمها عند ربي ﴾ (الأعراف: ١٨٧).
- ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ (الأنفال: ١).
- ﴿ ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفاً ﴾ (طه: ١٠٥).

• لكن لما فشلت حركة الجدل ولم يفلح استخدام الجدل مع الرسول ﷺ اتجه اليهود بعد ذلك إلى بدائل أخرى، لقد أدركوا أن الله سبحانه وتعالى يؤيد رسوله بالحجة والدليل، وأدركوا أيضاً أنهم أمام معجزة تختلف عن المعجزات التي خبروها في سالف العصور، لذا كان البديل هو محاولة بث الفرقة والخلاف بين المسلمين أنفسهم.

٢ ـ ونحن نلمس البواكير الأولى لهذه الفرقة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام.

لقد نشأت مشكلة هامة في ذلك الوقت: أيهما أحق بالخلافة أبو بكر أم علي؟.

لقد انشعب المسلمون إلى فريقين، فريق يؤيد أبو بكر، وقد بايعه عامة المسلمون، وعقدوا له الخلافة، وفريق آخر يرى أن علياً أفضل وأحق بالخلافة، ولا ينبغي أن تخرج الخلافة من البيت، وهذا هو فريق الشيعة. إلا أننا نلاحظ أن الشيعة بعد ذلك انقسمت إلى فرق وطوائف، ونشأت داخل فرق الشيعة بعض المشكلات الكلامية، ابتداء من موقفهم وخروجهم على إجماع المسلمين[1]. وبطبيعة الحال فإن انتصار أحد هذه الفرق لا بدّ وأن يستند إلى دليل وحجة، وكان طلب المنطق في هذه الفترة من الأساسيات بالنسبة للمفكرين. لقد شجعت اليهود هذا الاتجاه لدى الفرق المختلفة، وحثت عليه.

٣ ـ أضف إلى هذا أن هناك مشكلات واجهت المسلمين في العصر الأول، ولم تكن هذه المشكلات راجعة إلى الإسلام ذاته، وإنما أثيرت من اليهود والمسيحيين، وهؤلاء كما نعلم كانوا يتقنون فن الجدل والنقاش، وهم مطلعون على الكتب الفلسفية والمنطق، ولم يكن للمسلمين سابق خبرة بأساليب الجدل. وكان من بين المشكلات التي اندفع المسلمون إلى مناقشتها: القضاء والقدر، والجبر والاختيار، وحرية الإرادة.

من ثنايا هذه الأسباب الثلاثة التي أشرنا إليها، يمكن القول بأن البيئة العربية الإسلامية الأولى كانت مهيأة سسيولوجياً لاكتساب العلم من خلال الواقع المفروض، وقد ساعد على هذا أن القرآن الكريم ذاته والأحاديث النبوية الشريفة حثت المسلمين على التفكير والتأمل، وتلمس المعرفة واكتسابها.

ومع هذا فإننا نجد بعض الكتاب يعالجون انتشار ظاهرة العلم عند المسلمين الأوائل من وجهة نظر أخرى مختلفة لا تتسق وطبيعة الدين

---

(١) هذا الموقف ينطبق تاريخياً على الخلاف في العصر الإسلامي الأول بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ أما الآن فلم تعد هناك مشكلات كلامية أصلاً بين السنّة والشيعة.

الإسلامي ذاته، فنجد أن أحد الكتاب المحدثين يذكر أن «إحساس العرب بعد أن تكونت نواة التفكير عندهم بمجيء الإسلام وما فرضه الإسلام عليهم من مشاكل ومعضلات جديدة ـ بحاجة هذه النواة إلى الاكتمال والنضج، فقد أوجد فيهم حركة عقلية»، وأن المسلمين كانوا بحاجة إلى أساس نظري للدين يقوم عليه وحاجة علماء الكلام إلى النظريات اليونانية التي يسهل عليهم الدفاع عن الدين أمام المخالفين والمفكرين الذين هم أعرق منهم في الحضارة[٢].

لكننا نعتقد من جانبنا أن الأخطاء التي أدت إلى مثل هذا الرأي ليست مقصودة، وإنما جاءت نتيجة تفسير خاطىء أصلاً، ذلك أن الإسلام لم يفرض على المسلم مشكلات ومعضلات يلتمس لها الحلول هنا وهناك، وإنما القرآن الكريم فتح كتاب الكون أمام المسلمين بكل تساؤلاته، وحصر التساؤلات وقدم الردود عليها حتى لا يتزعزع إيمان المسلم. وربما كان المقصد الحقيقي للكاتب أن الإجابات التي قدمها القرآن الكريم كانت تحتاج إلى تفسير أكثر من وجهة نظره، وأن يتعين على المسلم أن يبحث في العلوم المادية وعلوم أصحاب الحضارات الأخرى ليشبع غريزته في المعرفة، وإذا كان هذا هو مقصده فإنه يكون قد وقع في خطأ فادح، ذلك لأننا نعلم أن ميتافيزيقا القرآن تختلف عن الميتافيزيقا اليونانية التي تعبر عن تطور العقلية اليونانية الآرية وتصوريتها المطلقة. لقد جاء القرآن ليخاطب الوجدان والعقل والحس معاً، أما الميتافيزيقا اليونانية فهي أما عقلية أو حسّية أو مزيجاً منهما معاً، وهي ليست متسقة مع ذاتها، بل إن النتائج التي انتهى إليها فلاسفة اليونان في كثير من المواضع لا تتسق مع المقدمات المفروضة، أو أنها لا تصدر عنها، فضلاً عن تجسيد هؤلاء لفكرة الإله، فتنظر إليه تارة على أنه محرك لا يتحرك، وأخرى على أنه عقل تفيض عنه عقول وهكذا، مما

---

(١) عبد الرحمن مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٩.

يخالف فكرة المسلم عن الله والتي وصف بها ذاته في محكم كتابه بقوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾.

ومن جانب آخر فإن الزعم بأن الدين الإسلامي كان بحاجة إلى أساس نظري لتثبيت دعائمه وأركانه والدفاع عنه أمام المخالفين، هذا القول يؤدي إلى غلط كبير، إذ أن الدين لم يبحث ولن يبحث عن مثل هذا الأساس مطلقاً. والمقصود بالأساس النظري الذي يتحدث عنه الكاتب هنا الحجج والبراهين، وكأن الإسلام كان بحاجة إلى مقدمات تنتهي إلى نتائج منطقية تتفق مع ما ورد فيه. إن هذا القول بلا شك يفضي إلى التشكيك في قوة حجية الدين الإسلامي، وهذا ما يدعونا إلى تقديم دليلين على فساد هذا الزعم.

الدليل الأول: أن العرب ما كان لهم أن يؤمنوا بالدين الجديد ما لم يقتنعوا به عقلياً أولاً ثم ينفذ إلى قلوبهم ووجدانهم ثانياً. ويثبت هذا قوة العقلية العربية وتفردها من حيث الطابع، فحياة البداءة تفرض على الإنسان حدة التأمل وجسارة التفكير، وقد دعانا القرآن الكريم في أكثر آياته إلى إنماء وإثراء هذه القدرة حين فتح الباب أمام المسلمين للتأمل والتفكير.

الدليل الثاني: أن المسلمين حين نقلوا عن الحضارات الأخرى وترجموا عنها كانوا يعلمون أنه لا بدّ أن تلائم العلوم الواقع الإسلامي بما يتفق مع الدين، وقد عهدنا المسلمون يقفون موقفاً معيناً من بعض العلوم مثل المنطق، وذاع وانتشر بينهم أن «من تمنطق تزندق»، وهم بهذا يشيرون إلى أن المنطق الصوري الأرسطي ـ وهو المعروف وقتها ـ والذي لا يتفق مع روح الإسلام شكلاً ومضموناً: نعم استعان معظم مفكري الإسلام بالمنطق، ولكن هذا جاء عرضاً للرد على الخصوم وإفحام دعواهم بنفس منطقهم، ولم يدر بخلد المسلمين على الإطلاق أن يستخدموا المنطق كأساس نظري برهاني للدفاع عن الدين، بل كان لهم منطقهم الخاص الذي يتفق مع طبيعة الإسلام، أقصد المنطق الأصولي.

ولكن ما الذي جعل المسلمون لا يهتمون أول الأمر بحركة الترجمة بصورة منظمة، وهذا نلمسه على أية حال في فترات متأخرة؟.

لقد كتب محمد البهي[1] عن أسباب عدم الاهتمام بالترجمة رسمياً في الفترات الأولى للدولة الإسلامية، وذهب إلى أن مرجع هذا الأمر يتصل بعدة عوامل: حقيقية لم تكن اللغة العربية بحال من الأحوال حائلاً دون الأقدام على هذه الخطوة، بقدر ما كان يشعر به المسلمون من قوة في تمسكهم بدين الإسلام تمكنهم من الاستغناء عن صنوف المعارف والفنون الأخرى التي ازدهرت في كثير من البقاع. لقد كانت قوة الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت حافزاً قوياً على الاستغناء عن طلب هذه العلوم، لكن ظهرت الحاجة الملحة لطلب هـذه العلوم حين ضعف شعور المسلمين بعض الشيء، وانفضت وحدتهم، وبدأ النزاع يدب بينهم على الحكم، فبدأ بعضهم يكوِّن صلات علمية مع الجماعات الأخرى. كذلك كان للأختلاط بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، كالمسيحيين، دخل في هذا التأثير. ففي القرن السابع الميلادي حدث نقاش وجدل عنيف بين المسلمين حول القضاء والقدر وحرية الإرادة، وبطبيعة الحال فقد تسرب إليهم هذا النقاش من المسيحيين الشرقيين، بحكم الاختلاط الشخصي، كذلك تسربت إليهم بعض أفكار الفلسفة اليونانية، مثل أفكار أرسطو وأفلاطون، التي وصلتهم عن طريق النقل الشفوي قبل الترجمة والنقل الرسمي. وهنا لنا وقفة.

لقد كانت الصلات بين الجماعات الإسلامية وغيرها، والنقاش والجدل حول بعض المسائل المتعلقة بالعقيدة ذاتها، من الأمور التي ساعدت على معرفة المسلمين بعلوم الإغريق وفلسفاتهم على وجه الخصوص. لكن لا يمكن بحال من الأحوال أن نقلل من تأثير وشأن حركة الترجمة والنقل، فالمعرفة الكاملة والتامة بتراث أي شعب من الشعوب تقتضي فهم هذا التراث ونقله. ورغم هذا فإنه يمكن لنا أن نتبين، أن اتصال المسلمين ـ فكرياً

(١) محمد البهي، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

وعلمياً ـ بالإغريق وأصحاب الثقافات الأخرى تم بصورة واضحة عن طريق إحدى وسيلتين: الأولى، النقاش والحوار والجدل الشفوي. والثانية، حركة الترجمة الرسمية ونقل التراث ذاته.

لقد كان للسريان دوراً واضحاً وملموساً باعتبارهم حلقة هامة من حلقات السلسلة التي انتقل عبرها التراث من اليونان القديمة إلى المسلمين، فقد قاموا بترجمة كثير من الكتب والمؤلفات الهامة من اليونانية. فنحن نعلم أن المجامع العلمية والفكرية التي تكونت في مناطق الاتصال بين المسلمين واليونانيين كانت بحاجة إلى جو من التسامح الفكري والعلمي بعدما تعرض له العلماء والمفكرين من اضطهاد في ظل الحكم الروماني، وكان الدين الإسلامي الجديد يدعو للتسامح وحرية ممارسة الفكر والبحث العلمي ـ وهذا في ذاته يفسر لنا كذب القصة القائلة بأن المسلمين حين قدموا إلى مصر أحرقوا مكتبة الإسكندرية على ما يقول بعض المؤرخين، فلا يمكن عقلاً أن يقبل ما يطلبه الدين الإسلامي من الحض على التسامح وحرية الفكر وطلب العلم، وفي نفس الوقت يقبل الادعاء القائل بأن المسلمين أحرقوا مكتبة الإسكندرية، كما أنه لم يتوافر دليل علمي واحد من خلال النصوص والوثائق التي كتبت في هذه الفترة يشير إلى صدق هذه القضية ـ فمارس العلماء والمفكرون حريتهم الفكرية كما يشاؤون ولم يتعرضوا لأنواع الاضطهاد والتنكيل كما حدث لهم من جانب الرومانيين. لقد كان المسلمون بحاجة إلى العلم والمعرفة، وبحاجة لأن يقفوا على تراث الحضارات الأخرى فاستقدم الخلفاء المترجمون من كل مكان وأخذوا يغدقون عليهم الأموال ويمنحونهم الهدايا والهبات، لينقلوا نفائس الفكر الإغريقي إلى العربية.

أضف إلى هذا أن الدولة العباسية التي بدأت حركة الترجمة في عهدها كان لها طابعاً خاصاً، فقد كانت تحمل عقلية جديدة لم تعهد في تاريخ الأمة الإسلامية من قبل، وهذه العقلية تتمثل في طلب العلم مهما كان نوعه، وإجراء البحوث العلمية بكل صورها.

والواقع أن هناك خلفية تاريخية دفعت العباسيين إلى الاهتمام بهذه المسألة، فالدولة العباسية ـ كما نعلم ـ فارسية المنشأ، والفرس هم الذين أسسوا دولة العباسيين، وقد كانت لهم ثقافة قديمة. أضف إلى هذا أن العباسيين نشأوا وتعلموا في كنف الفرس، رغم أنهم من عنصر وأصل عربي، وبحكم هذه التنشئة رغبوا في الاستزادة من العلم، وبذلوا كل ما في وسعهم لتشجيع العلماء والمفكرين، لنقل الثقافات الأجنبية في ميادين الأدب والسياسة والطب والفلسفة والعلوم الطبيعية والفلك، كذلك فإن العباسيين لم يهتموا كثيراً بجنسية المترجم، وإنما كانوا يسألونه الدقة، لأن الغرض الأساسي هو الحصول على المعرفة والعلم.

لقد أشار غالبية مؤرخي[1] الفكر الفلسفي إلى حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية والسريانية، ونحن نألف التركيز على الحركة العلمية في العصر العباسي، حيث نواجه تقسيماً ثلاثياً يشير إلى أن المرحلة الأولى تمتد من عام ١٣٦ هـ وحتى عام ١٩٨ هـ، أي من خلافة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين إلى وفاة هارون الرشيد. وفي إطار هذه المرحلة نجد إسهامات يوحنا البطريق وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسويه. وأما المرحلة الثانية التي تبدأ من عام ١٩٨ هـ وحتى عام ٣٠٠ هـ فهي تشمل حنين بن إسحق وآخرين غيره ممن ساهموا في الإنجاز العلمي في هذا العصر، إلا أن إسهامات حنين تحتل الجزء الأكبر من هذه الفترة. وأما المرحلة الثالثة والتي تمتد من عام ٣٠٠ هـ وحتى عام ٣٥٠ هـ فتشمل أبو بشر متى بن يونس، ويحيىٰ بن عدي وأبو سليمان السجستاني.

لكن هل يمكن القول جرياً وراء بعض التفسيرات أن حركة الترجمة أعاقت التطور الطبيعي للعقل الإسلامي؟.

الواقع أن الإجابة على مثل هذا التساؤل بالنفي، ومرجع هذا إلى عدة عوامل:

(١) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص ٢٢ وما بعدها.

أولاً : أنه من المعروف والمألوف أن نجد الترجمات التي تمت في بداية عصر الترجمة من اليونانية إلى السريانية لم تكن دقيقة تماماً، بل لقد وصفها حنين في مواضع عديدة بأنها كانت «رديئة» أو «سيئة»، ولكنها مع هذا فتحت الطريق أمام ترجمات أجود في مرحلة تالية.

ثانياً : أن العصر الذهبي للترجمة هو عصر حنين بن إسحق، وهو يمثل المرحلة الثانية من مراحل التطور العلمي الهام في تلك الفترة، هذا العصر شهد دقة في الترجمة من اللغة اليونانية إلى السريانية، ومن اليونانية والسريانية معاً إلى العربية، وقد كانت تلك مهمة مدرسة حنين التي عملت برياسته وقدمت أروع الكتابات والمخطوطات القديمة للفكر في ذلك الوقت.

ثالثاً : أما المرحلة الثالثة فقد كانت تتجه أكثر للتأليف، وفيها تقلص دور الترجمة إلى حد بعيد، بل نجد أن الابتكار فيها هو السمة المميزة للعقل الإسلامي في ذلك الوقت.

رابعاً : أضف إلى هذا أنه من المألوف أن نجد المشتغلين بحركة الترجمة في هذه الفترة من السريان الذين اتقنوا لغات متعددة مكنتهم من قراءة الفكر اليوناني في مصادره ونقله إلى اللغة السريانية أو العربية. وقد تعجب روزنتال[١] من أن ممثلي الفلسفة في القرنين التاسع والعاشر لم يكونوا على علم باللغات الأخرى غير العربية.

أن النقل إلى العربية أو السريانية من الإغريقية كان يتم بناءً على طلب أولى الأمر وأصحاب الكلمة، فبعض الأطباء الذين كانوا يعملون في البلاط كانوا يفضلون النقل إلى السريانية وقليل منهم من فضل اللغة العربية؛ وربما

---

(١) Rosenthal, F., «State and Religion According To Abu I-Hasan al-Amiri», P. 45.

كان السبب في هذا أن بعض المشتغلين بحقل الطب في هذه الفترة كانوا يعتقدون أن المصطلح الطبي في السريانية أغزر وأوفى وأدق منه في العربية، وقد برهنت أبحاث حنين بن إسحق ونقولاته على فساد هذه المقولة، فلم يكن هناك أحلى من عباراته العربية. أما الفريق الذي فضل النقل إلى العربية أمثال بني شاكر وأولاد موسى، فهؤلاء اشتغلوا بالطب من باب خلفي لتشجيع المترجمين. هذا فيما يتعلق بالطب والفلك والرياضيات.

أما فيما يتعلق بالفلسفة، فقد نتفق مع الرأي القائل بأن هناك اتصالات جرت بين العرب والرهبان في الأديرة حيث استمع العرب إلى مناقشات هؤلاء وتأثروا بآرائهم وحياتهم، وأنه ربما تم هذا قبل عصر الترجمة. ومما يعزز هذا الرأي أن الفرق الإسلامية التي نشأت في العالم الإسلامي في أعقاب الخلاف على الخلافة والذي أدى إلى ظهور التشيع، هذه الفرق اتسمت بطابع النقاش والجدل العميق المتسم بطابعه الفلسفي، رغم أنه حتى ذلك العصر لم تكن الكتابات الفلسفية اليونانية قد تسربت بعد إلى العالم الإسلامي.

الفصل الثاني

حنين بن إسحق
حياته والأخطاء التي وقعت في التعرض لها

- الخطأ في تاريخ حياته.
- خطأ كتب التراث في تعلمه العربية على الخليل.

تكاد المعلومات[1] التي لدينا عن حنين تتفق على اسمه وكنيته، فهو حنين بن إسحق العبادي[2]، ويكنى أبا زيد (١٩٤ - ٢٦٤ هـ)[3]، من

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٠٩؛ ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ١٧١؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٥٧؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٤٤.

(٢) يقول ابن خلكان: «والعِبادِيُّ - بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف دال مهملة - هذه النسبة إلى عباد الحيرة، وهم عدة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ينسب إليهم خلق كثير، منهم عدي بن زيد العبادي الشاعر المشهور وغيره، قال الثعلبي في تفسيره في سورة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ فقالوا أنؤمن لبشر من مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ أي مطيعون متذللون، والعرب تسمى كل من دان الملك عابداً له، ومن ذلك قيل لأهل الحيرة العباد، لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم. والحيرة - بكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء - وهي مدينة قديمة كانت لبني المنذر ومن تقدمهم من ملوك العرب مثل عرو بن عدي اللخمي وهو جدّ بني المنذر، ومن بعده من أبنائه، وكانت من قبل عمرٍ ولخاله جذيمة الأبرش الأزدي صاحب الزَّبّاء، وخربت الحيرة، وبنيت الكوفة في الإسلام على ظهرها في سنة سبع عشرة للهجرة، بناها عمر بن الخطاب على يد سعد بن أبي وقاص». وفيات الأعيان، جـ ١، ص ٢٠٥.

وقد نقل محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني في روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ص ٢٥٨، كل ما ذكره ابن خلكان تماماً عن حنين بن إسحق.

(٣) اختلفت الآراء حول تحديد تاريخ وفاة حنين بن إسحق، فبينما نجد معظم كتب التراث قد أكدت أنه توفي في عام ٢٦٠ هـ على أساس تحديد ابن النديم، الفهرست ص ٤٠٩ - ٤١٠، على سبيل المثال:

أ - ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ١٧٣.

ب - الذهبي، العبر في خبر من غبر، ص ٢٠.

نصارى الحيرة، ولد لأب نسطوري يعمل بصناعة العقاقير[1] والصيدلانيات[2]. وقد نشأ حنين محباً للعلم، توّاقاً للمعرفة، فكان عليه أن يرتاد مجالس التعليم، ويتلقى العلم على أربابه، وكان مجلس يوحنا بن ماسويه من أشهر مجالس التعليم وقتئذٍ، فاتجه حنين إلى هذا المجلس بكل طاقاته، يقول ابن أبي أصيبعة نقلاً عن يوسف بن إبراهيم الطبيب، أول ما

= جـ - اليافعي اليمني المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ص ١٧٢.
د - ابن الجوزي، المنتظم.
هـ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص ٢٥٠ الجزء الأول.

بينما هذا الاتفاق، نجد أن ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء، ص ٢٦٣ يذكر: «وكان مولد حنين في سنة مائة وأربع وتسعين للهجرة، وتوفي في زمان المعتمد على الله وذلك في يوم الثلاثاء أول كانون الأول من سنة ألف ومائة وثمان وثمانين للإسكندر، وهي لست خلون من صفر سنة مائتين وأربع وستين للهجرة، وكانت مدة حياته سبعين سنة». إننا نلاحظ أن ابن أبي أصيبعة هو المصدر الوحيد الذي بين أيدينا من المصادر القديمة الذي ذكر أن تاريخ ميلاد حنين عام ١٩٤ هـ، بينما لم تذكر كتب التراث التي دوّنها اليعقوبي (+ ٢٨٤ هـ) أو المسعودي (٣٤٦ هـ) أو ابن النديم (٣٧٧ هـ) أو صاعد الأندلسي (+ ٤٦٢ هـ) أو البيهقي (+ ٥٩٥ هـ) أو ابن القفطي (+ ٦٤٦ هـ)، أية معلومات عن ولادة حنين. وهذا يدل على أن ابن أبي أصيبعة تحرى هذه النقطة وتحقق منها، ومع أنه لم يذكر لنا مصدره فيها إلا أنه يمكن لنا أن نزعم أنه ربما أخذها عن ابن الداية (+ ٣٤٠ هـ) أو أبي سليمان المنطقي السجستاني (آخر القرن الرابع الهجري)، أو أبو الفرج ابن هندو فقد كان كثير النقل عنهم، وهذا ما تشهد به صفحات عيون الأنباء، لكن الأمر الغريب والمحير أن كتب التراث وقعت في خطأ شديد في تحديد التاريخ الميلادي لوفاة حنين، فقد ذكر ابن النديم في الفهرست أنه: «أول يوم من كانون الأول سنة ألف ومائة وخمس وثمانين للإسكندري الرومي» وتابعه ابن القفطي، ص ١٧٣، وابن خلكان، جـ ١، ص ٢٥٠، والخوانساري، ص ٢٥٧ - ٢٥٨. أما ابن أبي أصيبعة فقد حددها بعام ١١٨٨ م. ولا شك أن تحديد ١١٨٥ م أو ١١٨٨ م تاريخاً ميلادياً يوافق ٢٦٠ هـ أو ٢٦٤ هـ شديد الخطأ، إذ إن عام ١٩٤ هـ يوافق عام ٨٠٩ م، فإذا أضفنا سبعون عاماً إلى هذا التاريخ حسب تحديد ابن أبي أصيبعة يصبح تاريخ وفاة الرجل عام ٨٧٩ وهذا يخالف ما حدده ماكس مايرهوف (٨٧٧ م) بفارق عامين هما الفارق بين سبعون عاماً هجرية وسبعون عاماً ميلادية، وقد رأينا أن نأخذ برأي ابن أبي أصيبعة مع التنويه بالخطأ الذي حدث في تحديد العام الميلادي.

(١) دي لاسي أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة تمام حسان، ص ٢٤٧.
(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٤٤.

حصل لحنين بن إسحق من الاجتهاد والعناية في صناعة الطب هو أن مجلس يوحنا بن ماسويه كان من أعم مجلس يكون في التصدي لتعليم صناعة الطب[1]، وكان يجتمع فيه أصناف أهل الأدب. قال يوسف: وذلك أني كنت أعهد حنين بن إسحق الترجمان يقرأ على يوحنا بن ماسويه كتاب فرق الطب الموسوم باللسان الرومي والسرياني بهراسيس، وكان حنين إذ ذاك صاحب سؤال وذلك يصعب على يوحنا، وكان يباعده أيضاً من قلبه أن حنيناً كان من أبناء الصيارفة من أهل الحيرة، وأهل جنديسابور خاصة ومتطببوها ينحرفون عن أهل الحيرة، ويكرهون أن يدخل في صناعتهم أبناء التجار. فسأله حنين في بعض الأيام عن بعض ما كان يقرأ عليه مسئلة مستفهم لما يقرأ، فرد يوحنا وقال:

ما لأهل الحيرة ولتعلم صناعة الطب! صر إلى فلان قرابتك حتى يهب لك خمسين درهماً تشتري منها قفافاً صغاراً بدرهم، وزرنيخاً بثلاثة دراهم، واشتر بالباقي قلوساً كوفية وقادسية، وزرنخ القادسية في تلك القفاف، واقعد على الطريق، وصح القلوس الجياد للصدقة والنفقة. ربع القلوس فإنه أعود عليك من هذه الصناعة[2]. ثم أمر به فأخرج من داره فخرج حنين باكياً مكروباً. وغاب عنا حنين فلم نره سنتين.

---

(1) Vid: Mayerhof, M., An Arabic Compendium of Medico-Philosophical Definitions, Isis, Vol. X, 1928, PP. 340 - 349.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٥٨. ورد نفس النص عند ابن القفطي ولكن بتحريف إذ يقول: «وكان حنين صاحب سؤال وكان يصعب على يوحنا فسأله حنين في بعض الأيام مسئلة مستفهم فحَرِدَ يوحنا وقال ما لأهل الحيرة والطب عليك ببيع الفلوس في الطريق وأمر به فأخرج من داره»، تاريخ الحكماء، ص ١٧٤ ومن الواضح أن ابن القفطي قد ذكر هذا النص عن يوسف الطبيب، كما يقول، وهو نفس مصدر ابن أبي أصيبعة، ومن الواضح أيضاً أن الخطأ عند ابن القفطي ورد في كلمة «الفلوس» التي صحتها «القلوس» وهي الحبال التي تشد بها السفن. لقد كان القفطي مصدراً هاماً من مصادر براون الذي نقل عبارة ابن القفطي محرفة بقوله: «. . . . ماذا يصنع أهل الحيرة بالطب؟ اذهب واشتغل في صرف النقود في الشوارع» براون، الطب العربي، ص ٤١، ونرى أحد أوجه النقل أيضاً في هذه الأيام بنفس الصورة ونفس الأخطاء، إذ ذكر محمود دياب، نفس خطأ براون بدون تحقيق، راجع: الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٣.

وبعد هذا الوقت الطويل كان يوسف بن إبراهيم يعـود إسحق بن الخصي لما اعتل، يقول يوسف: إنه أبصر إنسان له شعره قد جللته وقد ستر وجهه عني ببعضها، وهو يـردد وينشد شعراً بالرومية لأوميروس رئيس شعراء الروم، فشبهت نغمته بنغمة حنين.

وكان العهد بحنين قبل ذلك الوقت بأكثر من سنتين، فقلت لإسحق بن الخصي هذا حنين، فأنكر ذلك إنكاراً يشبه الإقرار، فهتفت بحنين فاستجاب لي. وقال ذكر ابن رسالة الفاعلة إنه من المحال أن يتعلم الطب عبادي، وهو بريء من دين النصرانية إنه رضي أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليوناني إحكاماً لا يكون في دهره من يحكمه إحكامه. وما اطلع عليّ أحد غير أخي هذا ولو علمت أنك تفهمني لاستترت عنك، لكني عملت على أن حيلتي قد تغيرت في عينك وأنا أسألك أن تستر أمري، فبقيت أكثر من ثلاث سنين وإني لأظنها أربعاً لم أره.

ثم إني دخلت يوماً على جبرائيل بن بختيشوع، وقد انحدر من معسكر المأمون قبل وفاته بمدة يسيرة، فوجدت عنده حنيناً وقد ترجم له أقساماً قسمها بعض الروم في كتاب من كتب جالينوس في التشريح، وهو يخاطبه بالتبجيل ويقول له: يا ابن ربن حنين، وتفسيره ابن المعلم. فأعظمت ما رأيت، وتبين ذلك جبرائيل فـيّ فقال لي: لا تستكثرن ما ترى من تبجيلي هذا الفتى، فوالله لئن مُدّ له في العمر ليفضحن سرجس، وسرجس هذا الذي ذكره جبرائيل هو الرأس عيني[1]، وهو أول من نقل شيئاً من علوم الروم إلى اللسان السرياني، وليفضحن غيره من المترجمين.

وخرج من عنده حنين وأقمت طويلاً، ثم خرجت فوجدت حنيناً ببابه ينتظر خروجي، فسلم عليّ وقال لي: قد كنت سألتك ستر خبري، والآن فأنا أسألك إظهاره وإظهار ما سمعت من أبي عيسى وقوله فيّ، فقلت له: أنا

(١) هو سرجس الرأس عيني، أول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل إلى لغة السريانيين، وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة.

مسود وجه يوحنا بما سمعت من أبي عيسى لك، فأخرج من كمه نسخة ما كان دفعه إلى جبرائيل وقال لي تمام سواد وجه يوحنا يكون بدفعك إليه هذه النسخة، وسترك عنه علم من نقلها، فإذا رأيته قد اشتد عجبه بها أعلمه أنه إخراجي. ففعلت ذلك من يومي، وقبل انتهائي إلى منزلي.

فلما قرأ يوحنا تلك الفصول وهي التي تسميها اليونانيون الفاعلات، كثر تعجبه وقال: أترى المسيح أوحى في دهرنا هذا إلى أحد؟ فقلت له في جواب قوله: ما أوحى في هذا الدهر ولا في غيره أحد، ولا كان المسيح إلا أحد من يوحى إليه. فقال لي: دعني من هذا القول، ليس هذا الإخراج إلا إخراج مؤيد بروح القدس. فقلت له: هذا إخراج حنين بن إسحق الذي طردته من منزلك وأمرته أن يشتري قلوساً، فحلف بأن ما قلت له محال. ثم صدق القول بعد ذلك وسألني التلطف لإصلاح ما بينهما، ففعلت ذلك وأفضل عليه إفضالاً كثيراً، وأحسن إليه ولم يزل مبجلاً له حتى فارقت العراق، في سنة خمس وعشرين ومائتين وهذا جملة ما ذكره يوسف بن إبراهيم.

أقول: ثم إن حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه منذ ذلك الوقت وتتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب، ونقل حنين لابن ماسويه كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس بعضها إلى اللغة السريانية وبعضها إلى العربية، وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية، والدراية فيهم مما لم يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه، مع ما دأب أيضاً في إتقان العربية والاشتغال بها حتى صار من جملة المتميزين فيها.

أخطاء كتب التراث في تعلمه على الخليل:

وربما كانت بعض الأخطاء التي أشرنا إليها أمثلة واضحة على ما كان يحدث من أخطاء أثناء عملية النقل من كتب التراث، لكن هذه الأخطاء على أية حال لا تقاس بأخطاء موضوعية فادحة وقعت فيها بعض الكتابات قديمها وحديثها، كأن يقع الخطأ مثلاً في الحديث عن مشيخة هذا العالم أو ذاك، أو

تلقيه العلم على شخص معين بالذات لم يكن قد التقى به. وهذا ما نجده في كتب التراث التي أرّخت لحنين بن إسحق، وعرضت لتلقيه العلم، وما نراه بوضوح أيضاً في العمليات اللاحقة من النقل لدى بعض الكتاب. وهذا ما يدل على ضعف عام في المستوى الثقافي، وعدم معرفة حقيقية بأعلام العصر، وعدم متابعة النصوص وقراءتها في مصادرها، أو ضعف في تحليل النصوص، ونقدها نقداً ذاتياً داخلياً، أو نقداً خارجياً، وتلك أبسط القواعد التي يمكن للمؤرخ بصفة عامة أن يلمَّ بها أثناء عرضه لفكرة ركبها من هنا أو هناك.

وأحد الأخطاء الفادحة التي ذاعت عن حنين ذلك الخطأ الذي عمَّ كتابات القدماء، وانتقل أيضاً إلى المحدثين والمعاصرين، والمتعلق بمشيخته في مقتبل عمره. فنحن نألف رواية غير صحيحة تناقلت عبر الأجيال من كاتب لآخر تقص علينا أن حنيناً تعلم اللغة العربية على الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ النحويين العرب، وأنه أدخل كتاب العين المعروف إلى بغداد. من أين جاءت هذه القصة؟ وكيف تتطورت وانتقلت من جيل إلى آخر؟.

إن أقدم مصدر ذكر هذه المسألة مؤرخ الأطباء المعروف «أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي» المعروف بابن «جلجل» الذي صنف كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» عام ٣٧٧ هـ.

يذكر ابن جُلْجُلْ الفقرة التالية عن حنين بن إسحق «ونهض من بغداد إلى أرض فارس، وكان الخليل بن أحمد النحوي رحمه الله، بأرض فارس، فلزمه، حتى برع في لسان العرب. وأدخل كتاب العين بغداد»[1]. هذه الفقرة التي أوردها ابن جلجل في مؤلفه انتقلت إلى عدد كبير من مؤرخي التراث الإسلامي بدون نقد أو تحقيق، ويمكن أن نتبيّن أن بعض الكتابات

(١) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥، ص ٦٨ - ٦٩.

الهامة في التراث اعتمدت على هذه الفقرة وأخذت عنها ومنها الفقرات التالية:

١ ـ ابن القفطي يقول عن حنين في تاريخ الحكماء: «ونهض من بغداد إلى أرض فارس ودخل البصرة ولزم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي وأدخل كتاب العين بغداد»[١].

٢ ـ ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء يذكر: «وكان حنين ابن إسحق فصيحاً لسناً بارعاً شاعراً، وأقام مدة في البصرة، وكان شيخه في العربية الخليل بن أحمد»[٢].

٣ ـ ابن العبري في مؤلفه تاريخ مختصر الدول يقول: «ونهض من بغداد إلى أرض فارس ودخل البصرة ولزم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي ثم رجع إلى بغداد»[٣].

٤ ـ أما خير الدين الزركلي الذي ترجم للأعلام فيذكره قائلاً: «وكان أبوه صيدلانياً من أهل الحيرة (في العراق) وسافر حنين إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد»[٤].

هذا الخطأ الذي وجد في بعض كتب التراث الذي نلتقي به بين دفتي الكتب انتقل إلى العصر الحديث والمعاصر، فنجد على هذا الوقت أن الأخطاء لا زالت شائعة وتنتقل من جيل لآخر، وقد آثرنا أن نقدم هنا بعض هذه الأخطاء في الفقرات التالية:

١ ـ بروكلمان يذكر في تاريخ الأدب العربي أن حنين «درس في البصرة على الخليل وأدخل كتاب العين بغداد»[٥].

٢ ـ دي لاسي أو ليري يذكر في مؤلفه مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب

(١) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ١٧١.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٥٧.
(٣) ابن العبري، تار يخ مختصر الدول، ص ١٤٤.
(٤) خير الدين الزركلي، قاموس تراجم الرجال والنساء، ص ٣٢٥.
(٥) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص ١٠٣.

الذي ترجم في ترجمتين بيروتية ومصرية: «وذهب حنين لدى طرده من المدرسة إلى أرض الإغريق، وحصل هنالك على معرفة تامة باللغة الإغريقية.... وعاد في الوقت المناسب، واستقر حيناً في البصرة، حيث تعلم العربية على يدي الخليل بن أحمد»[1].

٣ ـ عمر فروخ في الطبعات المتتالية لتاريخ العلوم عند العرب يذكر الفقرة التالية عن حنين بن إسحق: «من أقدم النقلة وأشهرهم وأقدرهم حنين ابن إسحق، ولد في الحيرة سنة ١٩٤ هـ (٨١٠ م)، وتلقى شيئاً من الطب على يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ) ثم تابع درس الطب في بلاد الروم. بعدئذ زار الإسكندرية وفارس ودرس فيهما شيئاً من الفلسفة والطب. ثم عاد إلى البصرة وتبحر في درس اللغة العربية على الخليل ابن أحمد (ت ١٧٤ هـ)»[2].

هناك نصوص أخرى كثيرة غير تلك التي ذكرناها، لكننا أوردنا هذه النصوص دون غيرها لأن الكتابات التي عرضنا لها هي كتابات هامة في الحياة الثقافية للقارىء في التراث وعادة ما ينقل عنها الدارس أو الباحث مباشرة. لكن الكتابات التي أصدرها ماكس مايرهوف أو برجستراسر أو روزنتال لم تشر إلى هذا الأمر، بل ربما جاء الكلام عن تعلم حنين للغة العربية بصورة عرضية لا تذكر تعلمه على الخليل.

والأمر الهام في كل هذه النصوص أنها لم تنقل عن ابن النديم والفهرست الذي صنفه، كما هو مألوف، لأن ابن النديم لم يذكر شيئاً من هذا القبيل، وهو معاصر لابن جلجل، ودوّن الفهرست في نفس العام الذي دوّن فيه كتاب ابن جلجل. وقد أورد ابن النديم الفقرة التالية عن الخليل بن أحمد: «وهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد قال ابن أبي خيثمة أحمد أبو الخليل أول من سمى في الإسلام بأحمد وأصله من الأزد من فراهيد....

---

(١) دي لاسي أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص ٢٤٧.

(٢) عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص ١١٧.

وكان شاعراً مقلاً وتوفي الخليل بالبصرة سنة سبعين ومائة وعمره أربع وسبعون سنة وله من الكتب المصنفة كتاب العين»[٢].

وفي القرن الخامس الهجري كتب صاعد الأندلس في طبقات الأمم يقول تعليقاً على كتب التراجم التي أوردت خبر تعلم حنين على الخليل، كتب يقول: «وتعلم العربية في البصرة من (الخليل) بن أحمد وهو أدخل كتاب العين بغداد. ولم يكن الخليل بن أحمد بأرض فارس، وإنما كان بالبصرة، وتوفي سنة سبع ومائتين وبين وفاته ووفاة حنين المذكور تسعون سنة فانظر!»[٢].

من الواضح من نص صاعد الأندلسي أنه يتهجم ويتعجب من نص ابن جلجل الذي دوّن قبله بقرن من الزمان، ولا بد أنه قرأه وفهمه لأنه يذكر: «ولم يكن الخليل بأرض فارس»، وقد ذكر ابن جلجل في ترجمته «وكان الخليل بن أحمد النحوي رحمه الله بأرض فارس». ومن المعروف أن ابن جلجل هو أقدم مصدر من كتب التراجم يذكر لنا هذا النص الغريب، مما يدل بصورة واضحة على عدم إلمامه بثقافة العصر.

وربما أمكننا أيضاً أن نستدل على الأخطاء الشديدة الأخرى التي وقع فيها ابن جلجل ونقلتها كتب التراث عنه من نص آخر هام ورد عنده ونقله ابن أبي أصيبعة، فقد ذكر ابن جلجل عن يوحنا بن ماسويه[٣] أن هارون الرشيد قلده ترجمة الكتب القديمة مما وجده في أنقرة وعمورية وبلاد الروم. أما ابن أصيبعة فقد نقل نفس كلام ابن جلجل قائلاً: «وقال سليمان بن حسان: كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً، قلده الرشيد ترجمة الكتب

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٦٣ - ٦٤.
(٢) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٥، ويلاحظ أن تاريخ وفاة الخليل دون خطأ في نص صاعد إذ إنه يقصد سنة سبعون ومائة.
(٣) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٦٥.

القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة»[1].

لم يعلق ابن أبي أصيبعة على كلام ابن جلجل الذي نقله عنه وفيه أخطاء. أولها أن يوحنا بن ماسويه كان طبيباً للمأمون وليس للرشيد، والمأمون هو الذي قلده أمانة الترجمة. أما أبوماسويه أي يوحنا فهو الذي طب للرشيد[2]. وثانيها أن فتح أنقرة وعمورية كان في زمن المعتصم بالله سنة ٢٢٣ هـ ولم يكن في عصر الرشيد، كما ذكر ابن جلجل ونقل عنه ابن أصيبعة.

هذه النصوص وغيرها مما ورد في كتاب ابن أبي أصيبعة، تبيّن لنا أن أكثر كتب التراث القديمة امتلأت بالأخطاء الفنية الدقيقة، وربما السبب في هذا كبر حجم المادة العلمية التي وجدها المؤرخون أمامهم في ذلك العصر، والتي اختفت أكثرها من بين أيدينا الآن.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٤٦.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٤٢.

الفصل الثالث

حنين والخُلفاء

- صلة حنين بالمأمون.
- صلته بالواثق بالله.
- صته بالمتوكل: المحنة والنكبة.
- حزنه على فقد كتبه.

صلة حنين بالمأمون:

لقد ركزت كتب التراث على وصف الحالة العلمية والعقلية في العالم الإسلامي في العصر العباسي، وقد أشارت هذه الكتابات بصورة خاصة إلى اهتمام الخليفة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين، وكذا الخليفة المأمون سابع خلفاء الدولة العباسية، بتكريم العلماء، وجمع الكتب، والنهضة العلمية. ويمكن لنا أن نشير في هذا الصدد إلى أن عصر المأمون على وجه الخصوص يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية في هذه الفترة لأسباب عديدة من أهمها اهتمام هذا الخليفة الشخصي بالعلم، والمناظرات، وبشغفه الاطلاع على تراث الأمم الأخرى؛ وربما كان مرد هذا اعتناقه للمذهب العقلي الذي تدين به المعتزلة، ونشأته العلمية الأولى.

وما يجمع بين هذين الرجلين أيضاً ذلك التسامح الكبير الذي اتسما به[1]، فقد قربا النقلة والأطباء والمفسرين من كل جنس ودين، ولم يفرقا بين هذا وذاك، وقد هيأ لهم هذا أن يجمعا في البلاط من العلماء الأكفاء عدداً كبيراً ينقلون من اليونانية مباشرة أو عن طريق السريانية. والدليل على ذلك، كما يذكر ابن القفطي، أن المنصور حين قدم إليه رجل من الهند ذو علم في الفلك، وبجعبته كتاب يبحث في الفلك أمر بترجمة ذلك الكتاب إلى العربية

---

(١) براون، الطب العربي، ص ٢١ ـ ٢٢

«وأن يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري وعمل منه كتاباً يسميه المنجمون السند هند الكبير»[1].

ولسنا هنا بصدد التأريخ للمنصور أو لغيره، وإنما نتتبع حركة العلم في عصر المأمون الذي أسس **بيت الحكمة** وجعله نبراساً للأجيال، وجمع فيه من العلماء وأفاضل الأطباء والتراجمة ما مكنه من بعث نهضة علمية شاملة في عصره. وحتى نعرف حقيقة حركة العلم في عصره وتاريخية هذه الحركة والمنطق الذي سارت وفقاً له، بما جعلها حركة تأتي ثمارها، وجعل حنين بن إسحق يتبوء مكان الصدارة فيها، نشير إلى ما يلي من الخصائص:

١ ـ أن المأمون اهتم بالترجمة اهتماماً بالغاً. وقد أشارت كتب التراث، خاصة ابن النديم وابن أبي أصيبعة عن قصص وروايات كثيرة تدل على اهتمامه هذا، ننقل من بينها القصة التي يرويها ابن أبي أصيبعة نقلاً عن يوسف بن إبراهيم حيث يقول: «ولما رأى المأمون المنام الذي أخبر به أنه رأى في منامه كأن شيخاً بهيّ الشكل جالس على منبر وهو يخطب ويقول: «أنا أرسطوطاليس» أتيته من منامه وسأل عن أرسطوطاليس فقيل له رجل حكيم من اليونانيين. فأحضر حنين بن إسحق إذ لم يجد من يضاهيه في نقله، وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية»[2]. ومع أننا لا نستطيع أن نستبعد مثل هذه الرواية بصورة كاملة، إلا أننا في نفس الوقت لا يمكن أن نصدقها تماماً، لأنه في هذه الحالة علينا أن نسلم بأن التطور العلمي في ذلك العصر تم وفق أصول غيبية تتمثل في الأحلام وتفسيرها. والذي لا شك فيه أن الأمر يختلف عن هذا تماماً، لأن العلم وتطوره في عصر المأمون كان حلقة من

(١) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٢٧٠.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٥٩.

حلقات سلسلة متكاملة تسبقها حلقات وتليها تطورات، وهذا أمر يخضع للتفسير السسيولوجي والحضاري لتطور العلم.

٢ ـ أن المأمون كان يشترط على حكام البلاد التي يفتحها أن يعطوا الكتب مكان الغرامة المفروضة فلما «انتصر المأمون على الروم، سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠ م)، علم بأن اليونان كانوا ـ لما انتشرت النصرانية في بلادهم ـ قد جمعوا كتب الفلسفة من المكتبات وألقوا بها في السراديب. فطلب المأمون من ملك الروم أن يعطيه هذه الكتب مكان الغرامة التي كان قد فرضها عليه. فقبل توفيل (ثيوفيلوس) ملك الروم بذلك وعده كسباً كبيراً له. أما المأمون فعدّ ذلك نعمة عظيمة عليه»[١]. وقد أشارت بعض المصادر[٢] بأن ملك الروم امتنع في بداية الأمر، لكن أشير عليه بأن هذه الكتب إذا دخلت أمة من الأمم أفسدتها، ففعل. ولما حصل المأمون على غايته أمر بتعريبها وتحريرها وإصلاحها[٣]، وبذل من الأموال والعطايا الشيء الكثير[٤]، وكان أن أنشأ مدرسة للعلماء في بغداد حيث نشطت فيها دراسة الكتب الإغريقية وترجمتها نشاطاً عظيماً[٥]، وهي ما عرف ببيت الحكمة.

لقد أدى العلماء في بيت الحكمة واجبهم العلمي في جو تسوده أخلاقيات العلماء، من حب وتقدير وتسامح. كما كان أكثر العلماء في بيت الحكمة من النصارى والسريان والفرس وغيرهم، ولم تعرف هذه المؤسسة صور التعصب لجنس معين أو دين معين، وإنما كان شعار كل هؤلاء الحرية الفكرية التامة، والسبب في هذا الجو العقلي الذي وفره المأمون لعلمائه، فانقطع كل هؤلاء الرهط من العلماء إلى الدرس والنقل والنسخ ومطالعة كتب

(١) عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص ١١٣.
(٢) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٢٩ ـ ٣٠.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٢، ص ٢١٧.
(٤) الشطي، الطب عند العرب، ص ٧٨.
(٥) الفردجيوم، الفلسفة والإلّهيات، ص ٢٥٠.

الحضارات الأخرى واختيار ما يصلح للعصر لينقل للأجيال في صورة علمية لائقة.

والواقع أن المأمون كان يثق في حنين الشاب المتعلم الذي قدمه له كبير أطبائه. فاختاره لتقلد رياسة بيت الحكمة، وجعل بين يديه كُتاباً نحارير، ينقل ذخائر العلم اليوناني، ويراجع نقولات من يعمل في حقل الترجمة بعامة، إذ كان قد امتلك ناصية أربع لغات، كما سبق وذكرنا. وقد دأبت كتب التراث والكتابات المحدثة التي نقلت عنها، على رسم صورة لحنين الجَشِعْ الذي كان يتقاضى من المأمون زنة ما ينقل من الكتب ذهباً، ولذا كان يتخير الورق الغليظ، حتى يجزل له المأمون العطاء، بل إن ابن أبي أصيبعة يقدم لنا وصفاً أكثر بشاعة لجشع الرجل إذ يقول عن كتابات حنين «.... وهي مكتوبة بخط الأزرق[1] كاتب حنين، وهي حروف كبار بخط غليظ في أسطر متفرقة، ورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الأوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات أو أربع وذلك في تقطيع مثل ثلث البغدادي وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب، وتكثير وزنه، لأجل ما يقابل له من وزنه دراهم، وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد، ولا جرم أن لغلظه بقيٌّ هذه السنين الطويلة من الزمان»[2]. لم يدرك ابن أبي أصيبعة مدى أبعاد هذه التهمة التي أراد أن يلتمس لها مبرراً في نهاية الأمر بأن قال: «ولا جرم أن لغلظه بقي هذه السنين الطويلة من الزمان».

إن ابن أبي أصيبعة لم يدرك حكاية هذا الورق، فقد كان العرب حتى بداية الدولة العباسية، وعلى وجه التحديد أيام الخليفة المنصور، يستخدمون ورق البردى في الكتابة، وكان يستورد من مصر وتكاليفه باهظة. وقد اتفق أن

(١) اعتادت الكتابات المختلفة على الإشارة للأزرق على أنه الكاتب الوحيد لحنين، لكننا حصلنا على إشارة أخرى لدى ابن القفطي عن محمد بن الحسن الأحول يقول فيها: «وكان ناسخاً يورق لحنين بن إسحاق في منقولاته». ابن القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥، جـ٣، ص ٩١.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

نقل العرب في عام ٧٥١ جماعة من أسرى الحرب الصينيين إلى سمرقند، وعندما أرادوا بيعهم عبيداً محترفي صنعة، اتضح لهم أن قسماً من هؤلاء الأسرى كان بارعاً في صناعة الورق خبيراً بها. فكان أن قامت في البلاد صناعة الورق، وركزت الجهود على تحسينها وترقيتها، وأصبح الكتان والقطن عماد صناعة الورق الأبيض الناعم، فغمر الإمبراطورية كلها حتى العاصمة بغداد، حيث احتفل بنجاحه بعد أن انطلق من سمرقند. وقد أدرك الخليفة المنصور قيمة هذه المادة الجديدة للكتابة نظراً لاستهلاك علمائه وكتبته كميات منها في وزارته، ومجامعه العلمية، ورواجه عند التجار والموظفين، وأدرك أنه بوسعه عن طريق هذه المادة الجديدة أن يتحرر من ربقة استيراد ورق البردى من مصر. لذلك حرم على دوائر دولته استعمال ورق البردى إذ ذاك، وأمر باستعمال الورق الرخيص فقط لأغراض الكتابة[١]. وقد أشارت زيجرد هونكه أيضاً إلى أن روجر الثاني جدد وثائق والده روجر التي كتبت عام ١٠٩٠ م على ورق خفيف لاحظ أنه يتمزق، فكتبها على ورق سميك حفاظاً عليها، مما يعني أن الورق الغليظ اعتمد رسمياً في مختلف البلدان وقتئذ حفاظاً على ما يدوّن ويكتب، فعامل الزمن كفيل بالقضاء على الورق وما يكتب عليه.

لقد اعترف المستشرقون بأقلامهم أن عصر المأمون من أزهى عصور الدولة العباسية، وأن المأمون ضرب بسهم وافر في رفع شأن العلم والإقبال عليه طوال عشرين عاماً في بغداد، وقد نشأ هذا الاهتمام لديه من باعث شخصي[٢]، وحين أسس بيت الحكمة أراد أن تكون هذه المؤسسة مثالاً حياً لامتزاج الآداب الإسلامية بالعلوم الدخيلة[٣]، بصورة تؤسس حركة علمية عقلية شاملة في ربوع الإمبراطورية.

وقد ترتب على هذه النهضة الميمونة أن انتشرت خزانات الكتب منذ

---

(١) زيجرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٤٥ - ٤٦.

(٢) Brockelmann, C., History of the Islamic People, Routledge and Kegan Paul, London, 1948, P. 124.

(٣) Ibid, P. 125.

عهد المأمون، لدى الحكام والمشتغلين بالعلم. وقد قدم ابن النديم في الفهرست بعض الأقوال التي تشير إلى انتشار الخزانات الخاصة ـ أي المكتبات الخاصة.

١ ـ يقول ابن النديم وهو يتحدث عن الشرائع: «قرأت في كتاب وقع إليّ قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون»[١].

٢ ـ وحين يتحدث عن الفتح بن خاقان يقول: «الفتح بن خاقان بن أحمد في نهاية الزكاة والفطنة وحسن الأدب من أولاد الملوك اتخذه المتوكل أخاً وكان يقدمه على سائر ولده وأهله وكان له خزانة جمعها علي بن يحيى المنجم له لم ير أعظم منها كثرة وحسناً»[٢].

٣ ـ وعن سهل بن هارون يذكر: «وهو سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني انتقل إلى البصرة وكان متحققاً بخدمه المأمون وصاحب خزانة الحكمة له وكان حكيماً فصيحاً شاعراً فارسي الأصل شعوبي المذهب»[٣].

٤ ـ وعن ابن حاجب النعمان يقول: «وكان إليه في أيام مُعزٍّ الدولة ديوان السواد ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة»[٤].

٥ ـ وعن أخبار آل المنجم يذكر: «واتصل علي بن يحيى بمحمد بن إبراهيم المصعبي ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كلها نقل إليها من كتبه ومما استكتبه الفتح أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمه قط»[٥].

٦ ـ وعن أبو سهل الفضل بن نوبخت يقول ابن النديم: «فارسي الأصل وقد

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٩.
(٣) المرجع السابق، ص ١٧٤.
(٤) المرجع السابق، ص ١٩٣.
(٥) المرجع السابق، ص ٢٠٥.

ذكرت نسب آل نوبخت في كتاب المتكلمين واستقصيته، وكان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد»[1].

من كل هذا يتضح لنا أن العصر الذي عاشه حنين بن إسحق كان قمة الازدهار العلمي والعقلي[2]، وقد بلغ ذروته أيام المأمون العالم الجم الثقافة بين الخلفاء العباسيين ففي عصره بلغ رقي الإسلام العقلي الذروة وأصبحت العلوم من طب وفلسفة وفلك وآداب وموسيقى وفنون في متناول كل شخص من الرعية في إمبراطوريته الواسعة الأرجاء.

صلته بالواثق بالله:

أما الواثق بالله (٢٢٧ هـ - ٢٤٢ هـ) فكان محباً للنظر، يقرب العلماء من فلاسفة وأطباء، ويستمع إليهم، ويحب أن تجري المناظرات في حضرته، وتلك كانت عادة الخلفاء في ذلك الزمان، وقد ذكر لنا المسعودي[3] في مؤلفه «مروج الذهب» بعض ما جرى في مجلس المناظرات الذي كان يحضره الواثق بالله، ومن قبيل هذا أن سأل الخليفة من حضر مجلسه هذا، ومنهم ابن بختيشوع وابن ماسويه وحنين بن إسحاق، أن يخبروه عن كيفية إدراك معرفة الطب ومأخذ أصوله، أيكون من الحس أم من القياس والسنة؟ أم يدرك بأوائل العقل؟ فأجابوه إلى سؤاله، وبعد أن فرغوا من إجابتهم أحب الواثق بالله أن يسأل حنين، فجرى بينهما هذا الحوار: «قال الواثق لحنين من بين الجماعة: ما أول آلات الغذاء من الإنسان؟ قال: أول آلات الغذاء [من الإنسان] الفم، وفيه الأسنان، والأسنان اثنتان وثلاثون سنا، منها في اللَّحْي الأعلى ستة عشر سناً، وفي اللَّحْي الأسفل كذلك، ومن ذلك

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(٢) أمين أسعد خير الله، الطب العربي: مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به، ص ٣٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص ٨٠ - ٨٣.

أربعة في كل واحد من اللّحيين عراض محددة الأطراف تسميها الأطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج إلى قطعة من الأطعمة اللينة، كما يقطع هذا النوع من المأكول بالسكين، وهي الثنايا والرَّبَاعِيَاتُ، وعن جنبي هذه الأربعة في كل واحد من اللحيين سِنَّانُ رؤوسِهما حادَّةٌ وأصولهما عريضة، وهي الأنياب، وبها يكسر كل ما يحتاج إلى تكسيره من الأشياء الصلبة مما يؤكل، وعن جَنْبَي النابين في كل واحد من اللحيين خمس أسنان أخر عوارض خشن، وهي الأضراس، ويسميها اليونانيون الطواحن؛ لأنها تطحن ما يحتاج إلى طحنه مما يؤكل، وكل واحد من الثنايا والرَّبَاعيات والأنياب له أصل واحد، وأما الأضراس فما كان منها في اللحى الأعلى فله ثلاثة أصول، خلا الضرسين الأقصيين، فإنه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة، وما كان من الأضراس في اللَّحْي الأسفل فلكل واحد منها أصلان، خلا الضرسيني الأقصيين، فإنه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة، وإنما احتيج إلى كثرة أصول الأضراس دون سائر الأسنان لشدة قوة العمل بها، وخصت العليا منها بالزيادة في الأصول لتعلقها بأعلى الفم.

قال الواثق: أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات، فصنف لي كتاباً تذكر فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته من ذلك، فصنف له كتاباً جعله ثلاث مقالات، يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء المسهل وآلات الجسد.

وقد ذكر أن الواثق سأل حنيناً في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة، وأن حنيناً أجاب عن ذلك، وصنف في كل ذلك كتاباً ترجمه بكتاب «المسائل الطبيعية» يذكر فيه أنواعاً من العلوم، فكان مما سأل الواثق حنيناً من المسائل، وقيل: بل أَحْضَرَ له [الواثق] نديماً من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل [والمجيب]، إلى أن قال: فما الأشياء(٢) المغيرة للهواء؟ قال حنين: خمس، وهي أوقات السنة، وطلوع الكواكب وغروبها، والرياح، والبلدان، والبحار.

قال السائل: فكم هي أوقات السنة؟ قال [حنين]: أربع: الربيع،

والصيف، والخريف، والشتاء؛ فمزاج الربيع معتدل في الحرارة والرطوبة، ومزاج الصيف حار يابس، ومزاج الخريف بارد يابس، ومزاج الشتاء بارد رطب.

قال السائل: أخبرني عن كيفية تغيير الكواكب للهواء، قال [حنين]: إن الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس كان الهواء أزيد سخونة، وخاصة كلما كانت أعظم، ومتى بعدت الشمس أو بعدت هي من الشمس كان الهواء أزيد برداً.

قال [السائل]: أخبرني عن كيفية أعداد الرياح، قال [حنين]: أربع: الشمال، والجنوب، والصَّبا، والدَّبور، فأما قوة الشمال فباردة يابسة، وأما الجنوب فحارة رطبة، وأما الصَّبا والدَّبور فمعتدلان، غير أن الصبا أميل إلى الحرارة واليبس، والدبور أميل إلى البرودة والرطوبة من الصبا.

قال: فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك، قال: هي أربع؛ الأول الارتفاع، والثاني الانخفاض، والثالث مجاورة الجبال والبحار، والرابع طبيعة تربة الأرض، والنواحي أربع، وهي: الجنوب، والشمال، والمشرق، والمغرب، فناحية الجنوب أسخن، وناحية الشمال أبرد، وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان، واختلاف البلدان بارتفاعها [وانخفاضها؛ لأن ارتفاعها] يجعلها أبرد، وانخفاضها يجعلها أسخن، والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها؛ لأن الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد برداً لأنه يستره من الرياح الجنوبية، وإنما تهب فيه الريح الشمالية فقط، ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلَدَ أسْخَنَ.

قال: فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت؟

قال حنين: إن كان البحر من البلد في ناحية الجنوب، فإن ذلك البلد يسخن ويرطب، وإن كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد.

قال السائل: فأخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة ترتبها، قال: إن كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد أبرد وأخف [وأن كانت تربة البلد حصبانية جعلت ذلك البلد أخف وأسخن] وإن كانت طيناً جعلته أبرد وأرطب.

قال: فلم اختلف الهواء من قبل البحار؟ قال: إذا جاورت نقائع ماء أو جيفاً أو بُقُولاً عفنة أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها.

صلته بالمتوكل: المحنة والنكبة:

إن أكبر مأساة تعرض له حنين بن إسحق هي تلك التي وقعت له إبان خلافة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ). وكتب التراث على اختلافها، قديمة وحديثة، تروي لنا واقعتين لحنين مع المتوكل، أما الواقعة الأولى فيذكرون فيها أن المتوكل حين قربه أراد امتحانه حتى يتأكد أنه ليس من بين أعدائه. وأما الواقعة الثانية والتي ذكرها حنين نفسه في رسالة له دونها، ومما يرويه ابن جُلْجُل وابن أبي أصيبعة، فهي تشير إلى نكبته الحقيقية على يد المتوكل، ولكنه صبر عليها، حتى كشف الله الغمة وزالت الشدة. وسوف نذكر الواقعتين وما جرى لحنين حتى يتبين القارىء أي محنة حاقت بهذا الرجل.

يقول ابن العبري:

«ولم يزل أمر حنين يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر في النقل والتفاسير حتى صار ينبوعاً للعلوم ومعدناً للفضائل»[1] واتصل خبره بالخليفة المتوكل، فأمر بإحضاره. فلما حضر أقطع إقطاعات حسنة، وقرر له جارجيد، وكان يشعره بزبور الروم. وكان الخليفة يسمع بعلمه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى شاور فيه غيره، وأحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه ظناً منه أن ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة به. فاستدعاه يوماً وأمر

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٤٤.

بأن يخلع عليه، وأحضر توقيعاً فيه إقطاع يشتمل على خمسين ألف درهم، فشكر له حنين هذا افعل، ثم قال بعد أشياء جرت أريد أن تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله، ولم يمكن إشهاره ونريده سراً. فقال حنين يا أمير المؤمنين: إني لم أتعلم إلا الأدوية النافعة وما علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها، فإن أحب أن أمضي وأتعلم فعلت ذلك فقال هذا شيء يطول، ورغّبه وهدّده وهو لا يزيد على ما قاله إلى أن أمر بحبسه في بعض القلاع ووكل به من يوصل خبره إليه وقتاً بوقت ويوماً بيوم. فمكث سنة في حبسه دأبه النقل والتفسير والتصنيف، وهو غير مكترث بما هو فيه. فلما كان بعد سنة أمر الخليفة بإحضاره، وإحضار أموال يرغبه فيها، وأحضر سيفاً ونطعاً وسائر آلات العقوبات، فلما حضر قال هذا شيء قد كان، ولا بد مما قلته لك فإن أنت فعلت فقد فزت بهذا المال، وكان لك عندي أضعافه. وإن امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة.

فقال حنين: قد قلت لأمير المؤمنين إني لم أحسن إلا الشيء النافع، ولم أتعلم غيره. فقال الخليفة فإني أقتلك. قال حنين لي رب يأخذ بحقي غداً في الموقف الأعظم. فإن اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل. فتبسم الخليفة وقال له يا حنين طب نفساً وثق إلينا، فهذا الفعل كان منا لامتحانك، لأنا حذرنا من كيد الملوك، وأعجبنا بك، فأردنا الطمأنينة إليك والثقة بك لننتفع بعلمك. فقبل حنين الأرض وشكر له. فقال الخليفة يا حنين ما الذي منعك من الإجابة مع ما رأيته من صدق عزيمتنا في الحالين؟ فقال حنين شيئان يا أمير المؤمنين. قال وما هما؟ قال الدين والصناعة. قال فكيف؟ قال الدين يأمرنا بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف أصحابنا وأصدقائنا، ويبعد ويجرم من لم يكن كذا. والصناعة تمنعنا من الإضرار بأبناء الجنس لأنها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم. ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الأطباء عهداً مؤكداً بإيمان مغلظة أن لا يعطوا دواءً قتالاً، ولا ما يؤذي فلم أود أن أخالف هذين الأمرين من الشريعتين، ووطنت نفسي على القتل

فإن الله ما كان يضيع من بذل نفسه في طاعته وكان يثيبني. فقال الخليفة إنهما لشريعتان جليلتان وأمر بالخلع فخلعت عليه، وحمل المال بين يديه، وخرج من عنده وهو أحسن الناس حالاً وجاهاً[1].

وهكذا لم يصنع حنين الدواء الذي طلبه منه المتوكل، وكان باعثه الأساس في هذا على ما ذكر «الدين والصناعة». فأما الدين فإنه يحرم مثل هذا الفعل وينهي عنه، وهذا ما تتفق عليه الأديان جميعاً. وأما الصناعة فكيف؟ يذكر حنين أن الله جعل «في رقاب الأطباء عهداً مؤكداً بإيمان مغلظة أن لا يعطوا دواءً قتالاً». ما هو هذا العهد إذن الذي جعل حنين يرفض مطلب الخليفة، ويفضل الموت على تنفيذ ما طلب منه؟.

إن العهد الذي يقصده حنين هو ذلك القسم الذي يقسمه الأطباء قبل ممارسة مهنة الطب، وهو المعروف بقسم أبقراط. لقد ذكر ابن أبي أصيبعة في الجزء الأول من «عيون الأنباء» نص قسم أبقراط في الباب الرابع الذي خصصه لطبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب.

قسم أبقراط:

يقول أبقراط في قسمه:

«إني أقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج، وأقسم بأسقليبيوس وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً، وأشهدهم جميعاً على أني أفي بهذا اليمين وهذا الشرط، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي، وأواسيه في معاشي، وإذا أحتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالي. وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لإخوتي، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وأحلفوا بالناموس الطبي من الوصايا العوم وسائر ما في الصناعة، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى.

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٦١.

وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فامتنع منها بحسب رأيي، ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتال، ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فزرجة تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجاره، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إراديّ مقصود إليه في سائر الأشياء، وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد، وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى، أو أسمعها، أو في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً فأمسك عنها، وأرى أن أمثالها لا ينطق به، فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد منها شيئاً كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً، ومن تجاوز ذلك كان بضدّه»[1].

لقد تتلمذ حنين على يوحنا بن ماسويه في صناعة الطب التي اشتغل بها، وأصبح من أشهر أطباء عصره، وفطن إلى وصية أبقراط جيداً وعمل بها، فكان يعرف جيداً أنه: «ينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية، وحرص شديد ورغبة تامة، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها إذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر، لينطبع في فكره ويثمر ثماراً حسنة. . .»[2].

كذلك فإن حنين بن إسحق استوعب جيداً وصية أبقراط المعروفة بترتيب أبقراط، تلك الوصية التي يقول فيها أبقراط:

«ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً، وفي طبعه جيداً، حديث السن، معتدل القامة، متناسب الأعضاء، جيد الفهم، حسن

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٥.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٦.

الحديث، صحيح الرأي عند المشورة، عفيفاً شجاعاً، غير محب للفضة، مالكاً لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركاً له في الغاية، ولا يكون بليداً. وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه، حافظاً للأسرار، لأن كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم. وينبغي أن يكون محتملاً للشتيمة، لأن قوماً من المبرسمين وأصحاب الوسواس السوداوي يقابلونا بذلك، وينبغي لنا أن نحتملهم عليه، ونعلم أنه ليس منهم، وإن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة. وينبغي أن يكون حلق رأسه، معتدلاً مستوياً، لا يحلقه ولا يدعه كالجمة، ولا يستقصي قص أظافر يديه، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه. وينبغي أن تكون ثيابه بيضاء نقية لينة، ولا يكون في مشيه مستعجلاً، لأن ذلك دليل على الطيش ولا متباطئاً لأنه يدل على فتور النفس، وإذا دعي إلى المريض فليقعد متربعاً، ويختبر منه حاله بسكون وتأنٍ، لا بقلق واضطراب، فإن هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره»[1].

نكبة حنين بن إسحق:

يذكر ابن العبري: «وكان الطيفوري النصراني الكاتب يحسد حنيناً ويعاديه. واجتمعا يوماً في دار لبعض النصارى ببغداد وهناك صورة المسيح والتلاميذ وقنديل يشتعل بين يدي الصورة. فقال حنين لصاحب البيت: لم تضيع الزيت فليس هذا المسيح ولا هؤلاء التلاميذ وإنما هي صور. فقال الطيغوري: إن لم يستحقوا الإكرام فابصق عليهم فبصق فأشهد عليه الطيغوري ورفعه إلى المتوكل فسأله إباحة الحكم عليه لديانة النصرانية فبعث إلى الجاثليق والأساقفة وسئلوا عن ذلك فأوجبوا حرم حنين فحرم وقطع زناره وانصرف حنين إلى داره ومات من ليلته فجأة وقيل إنه سقى نفسه سماً». هذا هو ما يذكره ابن العبري عن نكبة حنين، وهي رواية تتفق مع ما أورده ابن أبي أصيبعة[2] نقلاً عن ابن جُلْجُل.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جُلْجُل: إن حنين بن إسحق مات بالغم من ليلته في أيام المتوكل. قال حدثني بذلك وزير أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله قال، قال كنت مع أمير المؤمنين المستنصر فجرى الحديث فقال أتعلمون كيف كان موت حنين بن إسحق؟ قلنا لا يا أمير المؤمنين. قال خرج المتوكل على الله يوماً وبه خمار فقعد في مقعده فأخذته الشمس، وكان بين يديه الطيفوري النصراني الطبيب وحنين بن إسحق، فقال له الطيفوري يا أمير المؤمنين الشمس تضرّ بالخمار، فقال المتوكل لحنين ما عندك فيما قال؟ فقال حنين يا أمير المؤمنين الشمس لا تضر بالخمار. فلما تناقضا بين يديه كشفهما عن صحة أحد القولين. فقال حنين: يا أمير المؤمنين الخمار حال للمخمور، والشمس لا تضر بالخمار إنما تضر بالمخمور. فقال المتوكل لقد أحرز من طبائع الألفاظ وتحديد المعاني ما فاق به نظراءه فوجم لها الطيفوري، فلما كان في غد ذلك اليوم أخرج الطيفوري من كمه كتاباً فيه صورة المسيح مصلوباً، وصور ناس حوله.

فقال له الطيفوري يا حنين هؤلاء صلبوا المسيح؟ قال نعم. فقال له ابصق عليهم. قال حنين لا أفعل، قال الطيفوري ولم؟ قال لأنهم ليسوا الذين صلبوا المسيح إنما هي صور[1]، فاشتد ذلك على الطيفوري ورفعه إلى المتوكل يسأله إباحة الحكم عليه بديانة النصرانية.

فبعث إلى الجاثليق والأساقفة وسئلوا عن ذلك، فأوجبوا اللعنة حنين فلعن سبعين لعنة بحضرة الملأ من النصارى، وقطع زناره، وأمر المتوكل أن لا يصل إليه دواء من قبل حنين حتى يستشرف على عمله الطيفوري. وانصرف حنين إلى داره فمات من ليلته فيقال مات غماً وأسفاً. ويذكر ابن أبي أصيبعة أن هذه الرواية تتفق مع ما ذكره أحمد بن يوسف بن إبراهيم في

(١) يقول ماكس مايرهوف في تحقيقه لكتاب العشر مقالات في العين «والظاهر أن حنين كان من أنصار الحركة التي اتسع نطاقها في ذلك الوقت ونعني بها حركة مانعي الإكرام للصور» ص ٢٦.

رسالة في المكافأة، لكن يبدو أن ابن أبي أصيبعة لم يقتنع بهذه الرواية فعقب عليها بقوله: «والأصح في ذلك أن بختيشوع بن جبرائيل كان يعادي حنين بن إسحق ويحسده على علمه وفضله، وما هو عليه من جودة النقل وعلو المنزلة. فاحتال عليه بخديعة عند المتوكل وتم مكره عليه حتى أوقع المتوكل به وحبسه. ثم إن الله تعالى فرج عنه وظهر ما كان احتال به عليه بختيشوع بن جبرائيل، وصار حنين حظياً عند المتوكل وفضله على بختيشوع وعلى غيره من سائر المتطببين، ولم يزل على ذلك في أيام المتوكل إلى أن مرض حنين فيما بعد المرض الذي توفي فيه، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين، وتبين لي جملة ما يحكى عن حنين من ذلك، وصح عندي من رسالة، وجدت حنين بن إسحق قد ألفها فيما أصابه من المحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من أشرار أطباء زمانه المشهورين»[1].

رسالة حنين التي تشير إلى نكبته:

وقال حنين بن إسحق[2]: إنه لحقني من أعدائي ومضطهديّ، الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقي، الظالمين لي، المتعدين عليّ من المحن والمصائب والشرور ما منعني من النوم، وأسهر عيني، وأشغلني عن مهماتي. وكل ذلك من الحسد لي على علمي وما وهبه الله عزّ وجلّ لي من علو المرتبة على أهل زماني وأكثر أولئك أهلي وأقربائي، فإنهم أول شروري، وابتداء محني. ثم من بعدهم الذين علمتهم وأقرأتهم وأحسنت إليهم وأرقدتهم، وفضلتهم على جماعة أهل البلد من أهل الصناعة، وقربت إليهم علوم الفاضل جالينوس، فكافأوني عوض المحاسن مساوىء بحسب ما أوجبته طباعهم، وبلغوا بي إلى أقبح ما يكون من إذاعة أوحش الأخبار، وكتمان جليل الأسرار، حتى ساءت بي الظنون، وامتدت إليّ العيون، ووضع عليّ الرصد حتى أنه كان يحصي عليّ ألفاظي، ويكثر اتهامي بما دق منها مما

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ٢٦٤.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ٢٦٤ وما بعدها.

ليس غرضي فيه، ما أومأوا إليه، فأوقعوا بغضتي في نفوس سائر أهل الملل، فضلاً عن أهل مذهبي. وعملت لي المجالس بالتأويلات الرذلة. وكلما اتصل ذلك بي حمدت الله حمداً جديداً وصبرت على ما قد دفعت إليه، فآلت القضية بي إلى أن بقيت بأسوأ ما يكون من الحال، من الإضافة والضر محبوساً مضيقاً عليّ مدة من الزمان، لا تصل يدي إلى شيء من ذهب ولا فضة ولا كتاب. وبالجملة ولا ورقة أنظر فيها.

ثم إن الله عزّ وجلّ نظر إليّ بعين رحمته، فجدد لي نعمه وردني إلى ما كنت عارفاً به من فضله. وكان سبب رد نعمتي إليّ بعض من كان قد التزم عداوتي واختص بها. ومن ههنا صح ما قاله جالينوس: أن الأخيار من الناس قد ينتفعون بأعدائهم الأشرار. فلعمري لقد كان ذلك أفضل الأعداء، وأنا الآن مبتدىء بذكر ما جرى عليّ مما تقدم ذكره فأقول: كيف لا أبغض ويكثر حاسدي ويكثر ثلبي في مجالس ذوي المراتب، ويبذل في قتلي الأموال، ويعز من شتمني، ويهان من أكرمني. كل ذلك بغير جرم لي إلى واحد منهم، ولا جناية، ولكنهم لما رأوني فوقهم، وعالياً عليهم بالعلم والعمل، ونقلي إليهم العلوم الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها، ولا يهتدون إليها، ولا يعرفون شيئاً منها، في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة، ولا نقص فيها ولا زلل، ولا ميل لأحد من الملل، ولا استغلاق ولا لحن، باعتبار أصحاب البلاغة من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النحو والغريب، ولا يعثرون على سيئة ولا شكلة ولا معنى، لكن بأعذب ما يكون عن اللفظ، وأقربه إلى الفهم، يسمعه من ليس صناعته الطب، ولا يعرف شيئاً من طرقات الفلسفة، ولا من ينتحل ديانة النصرانية، وكل الملل، فيستحسنه ويعرف قدره، حتى أنهم قد يغرمون على ما كان من الذي أنقل الأموال الكثيرة إذ كانوا يفضلون هذا النقل على نقل كل من قبلي. وأيضاً فأقول ولا أخطيء أن سائر أهل الأدب، وإن اختلفت مللهم محبون لي، ماثلون إليّ مكرمون لي، يأخذون ما أفيدهم بشكر، ويجازوني بكل ما يصلون إليه من الجميل. فأما هؤلاء الأطباء النصارى الذين أكثرهم تعلموا بين يدي، ونشأوا قدامي هم

الذين يرومون سفك دمي. على أنهم لا بد لهم مني نفرة. يقولون من هو حنين؟ إنما حنين ناقل لهذه الكتب ليأخذ على نقله الأجرة، كما يأخذ الصناع الأجرة على صناعتهم، ولا فرق عندنا بينه وبينهم. لأن الفارس قد يعمل له الحداد السيف في المثل بدينار، ويأخذ هو من أجله في كل شهر مائة دينار فهو خادم لأدائنا، وليس هو عامل بها. كما أن الحداد وإن كان يحسن صنعة السيف، إلا أنه ليس يحسن العمل به، فما للحداد وطلب الفروسية كذلك هذا الناقل، ماله والكلام في صناعة الطب ولم يحكم في علمها أو أمراضها وإنما قصده في ذلك التشبيه بنا ليقال حنين الطبيب، ولا يقال حنين الناقل. والأجود له لو أنه لزم صناعته، وأمسك عن ذكر صناعتنا. لقد كان يكون أجدى عليه فيما كنا سنوصله إليه من أموالنا، ونحسن إليه ما أمكننا، وذلك يتم له بترك أخذ المجس، والنظر في قوراير الماء، ووصف الأدوية. ويقولون إن حنيناً ما يدخل إلى موضع من دور الخاصة والعامة إلا يهزؤون به، ويتضاحكون منه عند خروجه. فكنت كلما سمعت شيئاً من هذا ضاق به صدري، وهممت أن أقتل نفسي من الغيظ والزرد. وما كان لي إليهم سبيل، إذ كان الواحد لا يستوي له مقاومة الجامعة عند تظافرهم عليه لكني كنت أضمر وأعلم أن حسدهم هو الذي يدعوهم إلى سائر الأشياء، وإن كان لا يخفى عليهم قبحها. فإن الحسد لم يزل بين الناس على قديم الأيام، حتى أن من يعتقد الديانة قد يعلم أن أول حاسد كان في الأرض قابيل في قتله لأخيه هابيل، لما لم يقبل الله قربانه، وقبل قربان هابيل. وما كان قديماً فليس بعجب أن أكون أنا أيضاً أحد من يؤذي بسببه. وقد يقال كفى بالحاسد حسده، ويقال إن الحاسد يقتل نفسه قبل عدوه، ولقد أكثرت العرب ذكر الحسد في الشعر ونظموا فيه الأبيات منها قول بعضهم (البسيط):

إنْ يَحْسدوني فإني غير لائمهم ... قَبْلِي مِنَ الناسِ أهل الفضلِ قَدْ حُسِدوا
فَدامَ لي ولهُمْ ما بِي وما بهِم ... ومَاتَ أَكْثَرُنا غَيْظاً بِمَا يَجِدُ
أنا الذِي يَجِدُوني فِي صُدُورِهِم ... لا أرْتَقي صُعُداً مِنْهَا وَلاَ أَرِدُ

وقد قال قائل هذا وغيره في مثل هذا مما يطول ذكره، مع قلة الفائدة فيه وهذا أيضاً مع أن أكثرهم إذا دهمهم الأمر إلى مرض صعب فإليَّ يصير، حتى يتحقق معرفته مني، ويأخذ عني له صفة دوائه وتدبيره، ويتبين الصلاح فيما أمر به، أن يعمل لا مر ولا مراراً. وهذا الذي يجيئني، ويقتدي برأيي هو أشد الناس عليّ غيظاً، وأكثرهم لي ثلباً. وليس أزيدهم على أن أحكم رب الكل بيني وبينهم. وإنما سكوتي عنهم لأنهم ليس هم واحداً ولا اثنين ولا ثلاثة، بل هم ستة وخمسون رجلاً جملتهم من أهل المذهب محتاجون إليّ، وأنا غير محتاج إليهم.

وأيضاً فإن إثرتهم مع كثرتهم قوية بخدمة الخلفاء، وهم أصحاب المملكة وأنا فأضعف عنهم من وجهين: أحدهما وحدتي، والثاني إن الذين يعنون بي من الناس محتاجون إلى الأصل الذي يعني بأعدائي الذي هو أمير المؤمنين، ومع هذا كله لا أشكو إلى أحد ما أنا عليه، وإن كان عظيماً، بل أبوح بشكرهم في المحافل، وعند الرؤساء فإن قيل لي أنهم يثلبونك، وينتقصون بك في مجالسهم، أدفع ذلك وأرى أني غير مصدق شيء مما يقال لي بل أقول إنا نحن شيء واحد تجمعنا الديانة والبلدة والصناعة. فما أصدق أن مثلهم يذكر أحداً من الناس فضلاً عني بسوء، فإذا سمعوا عني مثل هذا القول قالوا: قد جزع وأعطى من نفسه الصمة. وكلما ثلبوني زدت في الشكر لهم.

وأنا الآن أذكر ههنا آخر الآبار التي حفروها لي، سوى ما كان لي معهم قديماً خاصة مع بني موسى والجالينوسيين والبقراطيين في أمر البهت الأول. وهذه قصة المحنة الأخيرة القريبة: وهي أن بختيشوع بن جبرائيل المتطبب عمل عليّ حيلة تمت له عليّ، وأمكنته مني، أرادته فيّ. وذلك أنه استعمل قونة عليها صورة السيدة مار مريم، وفي حجرها سيدنا المسيح والملائكة قد احتاطوا بها، وعملها في غاية ما يكون من الحسن وصحة الصورة، بعد أن غرم عليها من المال شيئاً كثيراً. ثم حملها إلى أمير المؤمنين المتوكل، وكان هو المستقبل لها من يد الخادم الحامل لها، وهو الذي وضعها بين يدي

المتوكل. فاستحسنها المتوكل جداً، وجعل بختيشوع يقبلها بين يديه مراراً كثيرة. فقال له المتوكل لم تقبلها؟ فقال له يا مولانا إذا لم أقبل صورة سيدة العالمين فمن أقبل؟ فقال له المتوكل: وكل النصارى هكذا يفعلون؟ فقال نعم يا أمير المؤمنين، وأفضل مني، لأني أنا قصرت حيث أنا بين يديك.

ومع تفضيلنا معشر النصارى فإني أعرف رجلاً في خدمتك، وأفضالك وأرزاقك جارية عليه من النصارى يتهاون بها ويبصق عليها، وهو زنديق ملحد، لا يقر بالوحدانية ولا يعرف آخرة، يستتر بالنصرانية وهو معطل مكذب الرسل. فقال له المتوكل من هذا الذي هذه صفته؟ فقال له حنين المترجم. فقال المتوكل أوجه أحضره، فإن كان الأمر عليّ ما وصفت نكلت به وجلدته المطبق، مع ما أتقدم به في أمره من التضييق عليه، وتجديد العذاب. فقال أنا أحب أن يؤخر مولاي أمير المؤمنين إلى أن أخرج وأقيم ساعة ثم تأمر بإحضاره. فقال إني أفعل ذلك: فخرج بختيشوع من الدار وجاءني فقال يا أبا زيد أعزك الله ينبغي أن تعلم أنه قد أهدي إلى أمير المؤمنين قونة قد عظم عجبه بها، وأحسبها من صور الشام وقد استحسنها جداً، وإن نحن تركناها عنده ومدحناها بين يديه تولع بنا بها في كل وقت، وقال هذا ربكم وأمه مصورين وقد قال لي أمير المؤمنين أنظر إلى هذه الصورة ما أحسنها وإيش تقول فيها؟ فقلت له صورة مثلها يكون في الحمامات وفي البيع وفي المواضع المصورة، وهذا مما لا نبالي به ولا نلتفت إليه. فقال وليس هي عندك شيء؟ قلت لا قال فإن تكن صادقاً فابصق عليها فبصقت وخرجت من عنده وهو يضحك ويعطعط بي. وإنما فعلت ذلك ليرمي بها ولا يكثر الولع بنا بسببها، ويعيرنا دائماً، ولا سيما أن حرد أحد من ذلك، فإن الولع يكون أزيد. والصواب إن دعا بك وسألك عن مثل ما سألني أن تفعل كما فعلت أنا، فإني قد عملت على لقاء سائر من يدخل إليه من أصحابنا، وأتقدم إليهم أن يفعلوا، مثل ذلك، فقبلت ما وصاني به وجازت عليّ سخرتيه وانصرف. فما كان إلا ساعة حتى جاءني رسول أمير المؤمنين فأخذني إليه، فلما دخلت عليه إذ القونة، موضوعة بين يديه، فقال لي يا حنين ترى ما أحسن هذه

الصورة وأعجبها، فقلت والله إنه لكما ذكر أمير المؤمنين. فقال فأيش تقول فيها؟ فقلت مثلها مصور في الحمامات وفي الكنائس وفي سائر المواضع المصورة كثيراً، فقال أو ليس هي صورة ربكم وأمه؟ فقلت معاذ الله يا أمير المؤمنين إن لله تعالى صورة أو يصور، ولكن هذا مثال في سائر المواضع التي فيها الصور.

فقال فهذه إذن لا تنفع ولا تضر، فقلت هو كذلك يا أمير المؤمنين. فقال فإن كان الأمر على ما ذكرت فابصق عليها، فبصقت عليها، فللوقت أمر بحبسي، ووجه إلى ثوذسيس الجاثليق فاحضره، فلما دخل عليه ورأى القونة موضوعة بين يديه وقع عليها قبل أن يدعو له فاعتنقها، ولم يزل يقبلها ويبكي طويلاً، فذهب الخدم ليمنعوه فأمر بتركه. فلما قبلها طويلاً على تيك الحالة أخذها بيده وقام قائماً فدعا لأمير المؤمنين وأطنب في دعائه، فرد عليه وأمره بالجلوس. فجلس وترك القونة في حجره. فقال له المتوكل أي فعل هذا تأخذ شيئاً كان بين يدي وتتركه في حجرك عن غير إذني؟ فقال له الجاثليق نعم يا أمير المؤمنين أنا أحق بهذه التي بين يديك، وإن كان لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه أفضل الحقوق، غير أن ديانتي لم تدعني أن أدع صورة ساداتي مرمية على الأرض، وفي موضع لا يعرف مقدارها، بل لعله أن يعرف لها قدر، لأن هذه حقها أن تكون في موضع يعرف فيه حقها، ويسرج بين يديها أفضل الأذهان من حيث لا تطفأ قناديلها، مع ما يبخر به بين يديها من أطاييب البخور في أكثر الأوقات.

فقال أمير المؤمنين فدعها في حجرك الآن، فقال الجاثليق إني أسأل مولاي أمير المؤمنين أن يجود عليّ بها، ويعمل على أنه قد يقطعني ما مقدار قيمة مائة ألف دينار في كل سنة حتى أقضي من حقها ما يجب عليّ ثم يسألني أمير المؤمنين ما أحب بعد ذلك فيما أرسل إليّ بسببه.

فقال له قد وهبتها لك، وأنا أريد أن تعرفني ما جزاء من بصق عليها عندك؟ فقال له الجاثليق إن كان مسلماً فلا شيء عليه، لأنه لا يعرف مقدارها أما إذا كان يعرف ذلك فيلام ويوبخ على مقدار ما فعل، حتى لا يعود إلى

مثل ذلك مرة أخرى. وإن كان نصرانياً وكان جاهلاً لا يفهم ولا معرفة عنده فيلام ويزجر بين الناس، ويتهدد بالجروم العظيمة ويعذب حتى يتوب. وبالجملة إن هذا فعل لا يقدم عليه إلا جاهل لا يعرف مقدار الديانة. فإن كان عاقلاً وقد بصق عليها فقد بصق على مريم أم سيدنا وعلى سيدنا المسيح. فقال له أمير المؤمنين فما الذي يجب على من فعل ذلك عندك؟ فقال ما عندي يا أمير المؤمنين إذ كنت لا سلطان لـيّ أن أعاقبه بسوط أو بعصا، ولا لي حبس ضنك، بل أحرمه وأمنعه من الدخول إلى البيع، ومن القربان، وأمنع النصارى من ملامسته وكلامه، وأضيق عليه ولا يزال مرفوضاً عندنا إلى أن يتوب ويقلع عما كان عليه وينتقل ويتصدق ببعض ماله على الفقراء والمساكين مع لزوم الصوم والصلاة، فحينئذ نرجع إلى ما قال كتابنا وهو إن لم تعفوا للخاطئين لم يغفر لكم خطاياكم، فتحل حرم الجاني ونرجع إلى ما كنا عليه. ثم إن أمير المؤمنين أمر الجاثليق بأن يأخذ القونة، وقال له افعل بها ما تريد، وأمر له معها ببدرة دراهم، وقال له انفق ما تأخذه على قونتك فلما خرج الجاثليق لبث قليلاً يتعجب منه ومن محبته لمعبوده وتعظيمه إياه. ثم قال إن هذا الأمر عجيب. ثم أمر بإحضاري فأحضرت إليه وأحضر السوط والحبال وأمر بي فشددت مجرداً بين يديه، وضربت مائة سوط، وأمر باعتقالي والتضييق عليّ. ووجه فحمل جميع ما كان لي من رجل وأثاث وكتب وما شاكل ذلك، وأمر بنقض منازلي إلى الماء، وأقمت في داخل داره معتقلاً ستة أشهر في أسوأ ما يكون من الحال، حتى صرت رحمة لمن رآني. وكان أيضاً في كل يسير من الأيام بوجه يضربني ويجدد لي العذاب.

فلم أزل على ما شرحته إلى أن اعتل أمير المؤمنين، وذلك في اليوم الخامس من الشهر الرابع من يوم حبسي، وكانت علته صعبة جداً فأقعد ولم تمكنه الحركة وأيس منه وأيس هو أيضاً من نفسه. ومع ذلك فإن أعدائي الأطباء عنده ليلاً ونهاراً، ولا يزايلونه ساعة واحدة، وهم يعالجونه ويداوونه، ويسألونه في كل وقت في أمري ويقولون له، لو أراحنا مولانا أمير المؤمنين

من ذلك الزنديق الملحد لأراح منه الدنيا، وانكشف عن الذين -منه محنة عظيمة.

فلما طالت مسئلتهم له في أمري وكثر ذكرهم لي بين يديه بكل سوء، قال لهم فما الذي يسركم أن أفعل به؟ قالوا تريح العالم منه وكان مع ذلك كل من سأل في أمري أو تشفع فيّ من أصدقائي، يقول بختيشوع يا أمير المؤمنين هذا بعض تلاميذه وهو يعتقد اعتقاده، فيقل المعين لي ويكثر المحرك عليّ، وأيست من الحياة فقال لهم: أمير المؤمنين وقد لجوا عليه في السؤال فإني أقتله في غد يومنا هذا وأريحكم منه فسر بذلك الجماعة وانصرفوا على ما يحبون.

فجاءني بعض الخدم وقال لي إنه جرى في أمرك العشية كذا وكذا فسألت الله عزّ وجلّ التفضل بما لم تزل أياديه إليّ بأمثاله، ومع ما أنا فيه من كثرة الاهتمام وشغل القلب مما أخاف نزوله بي في غد بغير جرم استوجبه، ولا جناية جنيتها، بل بحيلة من احتال عليّ، وطاعتي من اغتالني. وقلت اللهم إنك عالم براءتي فأنت أولى بنصرتي وطال بي الفكر إلى أن حملني النوم، فإذا بهاتف يحركني ويقول لي قم فاحمد الله واثن عليه فقد خلصك من أيدي أعدائك، وجعل عافية أمير المؤمنين على يديك فطب نفساً فانتبهت مرعوباً، ثم قلت كلما كثر ذكره في اليقظة لم تنكر رؤيته عند النوم. فلم أزل أحمد الله وأثني عليه إلى أن جاء وجه الصبح، فجاءني الخادم ففتح عليّ الباب ولم يكن وقته الذي كان يجيئني فيه فقلت هذا وقت منكر، جاءني ما وعدت به البارحة. وقد جاء وقت رضاء أعدائي وشماتتهم بي، واستعنت بالله.

فما جلس الخادم إلا هنيهة إذ جاء غلامه ومعه مزين، ثم قال تقدم يا مبارك ليؤخذ من شعرك، فتقدمت فأخذ من شعري ثم مضى بي إلى الحمام، فأمر بغسلي وتنظيفي، والقيام عليّ بالطيب كما أمره مولاي أمير المؤمنين. ثم خرجت من الحمام فطرح عليّ ثياباً فاخرة، وردني إلى مقصورته إلى أن حضر سائر الأطباء عند أمير المؤمنين وأخذ كل واحد منهم موضعه، فدعاني أمير المؤمنين وقالوا هاتوا حنيناً فلم تشك الجماعة أنه إنما دعاني لقتلي،

فأدخلت إليه فنظر إليّ ولم يزل يدنيني إلى أن أجلسني بين يديه وقال لي : قد غفرت لك ذنبك، وأجبت السائل فيك، فاحمد الله على حياتك، وخذ مجستي وأشر عليّ بما ترى، فقد طالت علتي. فأخذت مجسته[1] وأشرت بأخذ خيار شنبر منقى من قصبه وترنجبين، لأنه شكا اعتقالاً مع ما كان يوجبه الصورة من استعمال هذا الدواء.

فقال الأطباء الأعداء نعوذ بالله يا أمير المؤمنين من استعمال هذا الدواء إذ كان له غائلة ردية. فقال لهم أمسكوا فقد أمرت أن آخذ ما يصفه لي ثم إنه أمر بإصلاحه، فأصلح وأخذ لوقته. ثم قال لي يا حنين اجعلني من كل ما فعلته بك في حل فشفيعك إليّ قوي، فقلت له مولاي أمير المؤمنين في حل من دمي فكيف وقد منَّ عليّ بالحياة. ثم قال تسمع الجماعة ما أقوله فنصتوا إليه، فقال اعلموا إنكم انصرفتم البارحة مساء على أني أبكر أقتل حنيناً كما ضمنت لكم فلم أزل أقلق إلى نصف من الليل متوجعاً، فلما كان ذلك الوقت أغفيت فرأيت كأني جالس في موضع ضيق وأنتم معشر الأطباء يعيدون عني بعداً كثيراً مع سائر خدمي وحاشيتي، وأنا أقول لكم ويحكم ما تنظرون إليّ في أي موضع أنا هذا يصلح لمثلي، وأنتم سكوت لا تجيبونني عما أخاطبكم به، فإذا أنا كذلك حتى أشرق عليّ في ذلك الموضع ضياء عظيم مهول حتى رعبت منه.

وإذا أنا برجل قد وافي الجميل الوجه ومعه آخر خلفه عليه ثياب حسنة فقال السلام عليك فرددت عليه فقال لي تعرفني؟ فقلت لا فقال أنا المسيح فقلت وتزعزعت وقلت من هذا الذي معك؟ فقال حنين بن إسحق فقلت: اعذروني فلست أقدر أن أقوم أصافحك فقال اعف عن حنين واغفر ذنبه فقد غفر الله له، واقبل ما يشير به عليك فإنك تبرأ من علتك.

فانتبهت وأنا مغموم بما جرى على حنين مني ومفكر في قوة شفيعه إليّ وإن حقه الآن عليّ واجب، فانصرفوا ليلزمني كما أمرت وليحمل إليّ كل

(1) Ishaq b. Hunain's short «Chronology of Physicians», ed. F.Rosenthal, in **oriens, VII** (1954) PP. 55-80, and in **Journal of the American oriental Society,** LXXXI (1961), P. 10 f.

واحد منكم عشرة آلاف درهم لتكون دية من سأل في قتله. وهذا المال يلزم من حضر المجلس البارحة وسأل في قتله ومن لم يكن حاضراً فلا شيء عليه ومن لم يحمل ما أمرت بحمله من هذا المال لأضربن عنقه.

ثم قال لي اجلس أنت والزم رتبتك. وخرج الجماعة فحمل كل واحد منهم عشرة آلاف درهم. فلما اجتمع سائر ما حملوه أمر بأن يضاف إليه مثله من خزانته فكان زائداً عن مائتي ألف درهم وأن يسلم إليّ ففعل ذلك. فلمّا كان آخر النهار وقد أقامه الدواء ثلاثة مجالس أحس بصلاح وخف ما كان يجد فقال يا حنين أبشر بكل ما تحب فقد عظمت رتبتك عندي وزادت طبقتك أضعاف ما كنت عليه عندي فسأعوضك أضعاف ما كان لك، وأحوج أعداءك إليك، وأرفعك على سائر أهل صنعتك.

ثم إنه أمر بإصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ولا رأيت لأحد من أهل صناعتي مثلها، وحمل إليها سائر ما كنت محتاجاً من الأواني والفرش والآلة والكتب وما يشاكل ذلك بعد أن أشهد لي بالدور، وتوثق لي بشهادات العدول، لأنها كانت خطيرة في قيمتها، لأنها تقوم بألوف دنانير، فمحبته لي وميله إليّ يجب أن تكون لي ولعقبي، ولا تكون عليّ حجة لمعترض.

فلما فرغ مما أمر به من الحمل إلى الدور، وجميع ما ذكر وتعليقها بأنواع الستور، ولم يبق غير المضي إليها أمر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي، وحملني على خمسة رؤوس من خيار بغلاته الخاصة بمواكبها، ووهب لي ثلاثة خدم روم، وأمر لي في كل شهر بخمسة عشر الف درهم، وأطلق لي الفائت من رزقي وفي وقت حبسي، فكان شيئاً كثيراً وحمل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والأهل ما لا يمكن أن يحصى من الأموال والخلع والإقطاع وحصلت وظائفي التي كنت آخذها خارج الدار من سائر الناس، آخذها من داخل الدار، وصرت المقدم على سائر الأطباء من أعواني

وغيرهم. وهذا تم لي لما لحقتني السعادة التامة، وهذا ما جرى عليّ بعداوة الأشرار.

كما قال جالينوس: إن الأخيار من الناس قد ينتفعون بأعدائهم الأشرار. ولعمري لقد لحق جالينوس محن عظيمة، إلا أنها لم تكن تبلغ إلى ما بلغت بي أنا هذه المحن، وإني لأعلم مراراً كثيرة أن أول من كان يعدو إلى باب داري في حاجة تكون له إلى أمير المؤمنين، أو أن يسألني عن مرض قد حار فيه أحد أعدائي الذين قد عرفتك ما لحقني منهم، وكنت وحق معبودي العلة الأولى أسارع في قضاء حوائجهم، وأخلص لهم المودة، ولم أكافئهم على شيء مما صنعوه بي ولا واحداً منهم وأخذته بذلك. فكان سائر الناس يتعجبون من حسن قضائي حوائجهم بعد ما كانوا يسمعونهم يقولون في عند الناس وخاصة عند مولاي أمير المؤمنين. وصرت أنقل لهم الكتب على الرسم بغير عوض ولا جزاء، وأسارع إلى جمع محابهم بعد أن كنت إذا نقلت لأحدهم كتاباً أخذت منه وزنه دراهم.

قال حنين: وإنما ذكرت سائر ما تقدم ذكره ليعلم العاقل أن المحن قد تنزل بالعاقل والجاهل، والشديد والضعيف، والكبير والصغير، وإنها وإن كانت لا شك واقعة بهذه الطبقات التي ذكرنا، فما سبيل العاقل أن ييأس من تفضل الله عليه بالخلاص مما يلي به، بل يثق ويحسن ثقته بخالقه، ويزيد في تعظيمه وتمجيده. فالحمد لله الذي مَنَّ عليّ بتجديد الحياة، وأظهرني على أعدائي الظالمين لي وجعلني أفضلهم رتبة وأكرمهم حالاً، حمداً جديداً دائماً: وهذا جملة قول حنين بن إسحق بلفظه.

إننا إذا ربطنا الأحداث التي يشير إليها حنين في الرسالة التي تشير إلى نكبته، بتلك التي سبق أن ذكرناها عن محنته لتبيّن لنا أن الخليفة المتوكل على الله لم يكن يقدر العلماء حق قدرهم، بل كان يتعمد إهانتهم وإذلالهم وهذا ما يمكن أن نستشفه من موقف آخر مماثل حدث للكندي فيلسوف العرب، ومعاصر حنين، مع المتوكل، فقد ذكر أبو جعفر أحمد بن يوسف بن

إبراهيم في كتابه «حسن العقبي» ما جرى للكندي، يقول: «كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في المعرفة. فأشخصا سند بن علي إلى مدينة السلام، وباعداه عن المتوكل، ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل، ووجها إلى داره فأخذا كتبه بأسرها وأفرداها في خزانة سميت الكندية»[1]. فهل كان المتوكل ذو مزاج سادي (تعذيبي) عابثاً، قاسياً، على ما يقول دي لاسي أوليري؟ إن الإجابة على هذا التساؤل يجب أن تكون في ضوء تحليل دقيق لشخصية المتوكل وعصره، والأحداث التي شكلت عقليته، وتلك التي جعلته يقف هذا الموقف من العلماء.

حزنه على فقد كتبه:

لم يكن المتوكل يقدّر العلماء والعلم، فالأخبار التي وصلتنا، وما يرويه حنين ذاته عن نفسه، تشير إلى أن الخليفة أصابه في مقتل حين جَرَدّه من كتبه وهي عُدّتّه. أما حنين بن إسحق فقد كان يجمع في أعماق ذاته صفات العالم بكل معنى الكلمة. فالعلماء عادة يضعون فكرهم في كتابات خالدة تعبر عن هذا الفكر، أو هي تترجمه للأجيال. والعالم لا يكتفي بتسجيل فكره الخاص فحسب، وإنما يتطلع إلى فكر الآخرين، يقرأ هذا ويطالع ذاك، ويقارن بين جوانب الفكر المختلفة، سواءً أكانت تروقه أم لا. ومن ثم نجد الشغل الشاغل للمفكر والعالم عبر الزمان هو «الكتاب»، الذي يحمل فكره إلى الآخرين، وينقل فكر الآخرين إليه. إننا جميعاً نسجل ذواتنا على أسطر قد تلهم الأجيال من بعدنا. ولكن ماذا إذا فقد هذا العالم أو ذاك كتبه، وهي عُدّتّه؟ أو ماذا يصيب الإنسان إن أفاق من النوم ذات يوم، وكأن كابوساً ثقيلاً جَثَمَ على أنفاسه، ولم يجد مكتبته، أو كتبه؟ أيصدق؟ أم يكذب؟ هل يحزن؟ أم تصيبه كآبة؟.

قد تسجل خبرتنا الذاتية قلة قليلة يمكن أن تصاب بالحزن لفقد كتاب هام. لكن خبرتنا الذاتية أيضاً لا تغنى عن لسان حال عالم ومفكر يتألم لفقد

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٨٦.

كتبه. لقد وصف حنين بن إسحق شعوره وألمه في كلمات وعبارات قليله بالغة الدقة. يقول في وصفه الدقيق الوقيعة والمكيدة التي حيكت له في بلاط المتوكل: «فآلت القضية بي إلى أن بقيت بأسوأ ما يكون من الحال من الإضاقة والضر، محبوساً مضيقاً عليّ مدة من الزمان لا تصل يدي إلى شيء من ذهب ولا فضة ولا كتاب. وبالجملة ولا ورقة انظر فيها»[1]. فما أن أقام الجاثليق ثوذسيس الدليل أمام الخليفة علي عظم فعله بما ارتكبه في حق القونة، حتى أمر الخليفة، يقول حنين: «بإحضاري فأحضرت إليه وأحضر السوط والحبال، وأمر بي فشددت مجرداً بين يديه وضربت مائة سوط، وأمر باعتقالي والتضيق عليّ، ووجه فحمل جميع ما كان ليّ من رحل وأثاث وكتب وما شاكل ذلك»[2].

وهناك من النصوص التي تصوّر حال حنين أبلغ تصوير، والتي سجلها بخط يده في رسالة دقيقة بعث بها إلى عليّ بن يحيى حين سأله أن يعلمه بأمر ما ترجم وما لم يترجم من كتب جالينوس. اغتنم هذا العالم الجليل الفرصة ليصف في رسالته مأساته وكآبته لفقد كتبه، فيقول: «فأعلمتك أيدك الله أن حفظي يقصر عن الإحاطة بجميع تلك الكتب إذ كنت قد فقدتُ جميع ما كنت جمعته منها»[3]. وبعد سطور قليلة يتوسل إليه أن يتدخل لدى الخليفة لاستعادة كتبه، قائلاً: «فسألت أكرمك الله أن أترجم لك ذلك الكتاب في العاجل إلى أن يتفضل الله بما هو أهله من رد تلك الكتب عليّ يدك..»[4]. ولم يكتفي بإضافة هذه الفقرة وحسب، وإنما أراد أن يذكر علي بن يحيى بكارثته مرة أخرى في إلحاح وإصرار بقوله: «فلما أوردت عليّ من هذا ما أوردت علمتُ أنك قد أصبت في قولك وإنك قد دعوتني إلى أمر يعمّني وإياك وكثيراً من الناس منفعته لكني لبثتُ مدة طويلة أدافعك بما

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٦٤.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٦٨.
(٣) (٤) رسالة حنين إلى علي بن يحيى فيما ترجم من كتب جالينوس وما لم يترجم منها، نشرة عبد الرحمن بدوي، ص ١٤٩. وعلي بن يحيى هذا هو كاتم سر المتوكل وصديقه.

سألت وأمطلك بسبب فقد جميع كتبي التي جمعتها كتاباً كتاباً في دهري كله منذ أقبلت أفهم من جميع ما جُلْتُه من البلدان ثم فقدتُها كلها جملة حتى لم يبق عندي ولا الكتاب الذي ذكرتُه قُبَيْلُ وهو الذي أثبت فيه جالينوس ذكر كتبه»[1].

وبسبب هذه الكارثة لم يعد لدى حنين كتابٌ واحدٌ يمكن أن يقرأه في لياليه الطوال، إنها نكبة أصابته، أشَدُ وأنكى من نكبة الرفاق. وهو يدرك أن كتابه إلى علي بن يحيى يُدوَّن من الذاكرة، وقد تحدث بعض الأخطاء أثناء هذا التدوين، وفي هذا يقول لعلي بن يحيى مذكراً إياه: «اضطُررْتُ إلى أن أجيبك إلى ما سألت مع فقدي لما كانت بي إليه حاجة من العدّة لذلك عندما رأيتك قد رضيت وقد اقتصرت مني على ما أحفظ من هذا الباب»[2].

لقد أراد حنين بن إسحق أن يكشف لمحدثه أهمية التدوين الدقيق الذي يعتمد على المراجع والعدّة، وأن يبيِّن له أيضاً أن الذاكرة قد تخون، وقد تحدث الأخطاء التي لا مفر منها إذا عولنا على الذاكرة تماماً. نقول هذا عن رجل في عصر كان العرب فيه يتمتعون بذاكرة وحافظة قوية تنطبع فيها الأشياء مهما تباعدت الأيام. لكن «العدة» التي يتحدث عنها الرجل لا بد أن يعتمد عليها العالم والمفكر.

يتضح لنا من الإشارات السابقة مدى الألم الذي أصابه لفقدانه كتبه وحرمانه منها، أكثر من مصادرة متاعه وممتلكاته[3].

وكانت كلمات الرجل المعبرة عن فرحته باستعادة كتبه، بعد أن صلحت ذات البين، وقربه الخليفة مرة أخرى، كانت الكلمات أوقع في نفس القارىء، الذي يشعر بمدى صدق الكلمات التي دوّنها الرجل في قوله عن

(١) المرجع السابق، ص ١٥٠.
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٠.
(٣) ماكس مايرهوف، كتاب العشر مقالات في العين، ص ٢٦.

الخليفة: «ثم إنه أمر بإصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها، ولا رأيت لأحد من أهل صناعتي مثلها. وحمل إليها سائر ما كنت محتاجاً من الأواني والفرش والآلة والكتب وما شاكل ذلك»[1].

لكن يبدو أن النكبات المتتالية التي أصيب بها الأطباء والعلماء كانت سمة أساسية من سمات هذا العصر؛ بل يبدو أن عهد المتوكل ذاته يعتبر من أشد العهود قسوة على العلماء، ومع هذا فنحن لا نستطيع، أن نتهم المتوكل بنكبة العلماء دائماً، وإنما نحن نضع هذه المسألة من باب الافتراض، ذلك أن بعض الشواهد الأخرى تكذب هذا الافتراض، والدليل على ذلك أن المتوكل تبيّن نفسياً براءة حنين، ولكنه في حالة الكندي تبيّن براءته بالدليل، فلما انكشف أمر محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر استدعاهما المتوكل، وقال لهما: «والله إنكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة، ولكن الحق أولى ما أتبع. أكان من الجميل ما أتيتماه إليه من أخذ كتبه؟ والله لا ذكرتكما بصالحه حتى تردا عليه كتبه، فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب إليه، وأخذ خطه باستيفائها، فوردت رقعة الكنـدي بتسلمها عن آخرها. فقال: قد وجب لكما عليّ ذمام بردّ كتب هذا الرجل، ولكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعياها فـيّ»[3].

ومع أن ماكس مايرهوف[4] قد ذهب بناءً عليّ تحليله لبعض نصوص حنين بن إسحق إليّ أن سبب محنته وبلائه قد يكون بختيشوع بن جبرائيل، أو حسب رواية أخرى إسرائيل بن زكريا الطيفوري الطبيب النسطوري؛ إلا أن النصوص التي خلفها لنا حنين بن إسحق، وذكر فيها محنته ونكبته، تشير إلى

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧٠.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٨٦.
(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٨٧.
(٤) ماكس مايرهوف، كتاب العشر مقالات في العين، ص ١٩، وكذلك، محمد كامل حسين ص ٢٦٩.

غير ذلك. فقد أومأ في إشارة إلى حاسديه أنهم كثرة، ولا يستطيع أن يصرح بهم فرداً فرداً، وإنما عَدّهُم إجمالاً بقوله: «وإنما سكوتي عنهم لأنهم ليس واحداً ولا اثنين ولا ثلاثة، بل هم ستة وخمسون رجلاً جملتهم من أهل المذهب، محتاجون إليّ وأنا غير محتاج إليهم. وأيضاً فإن إثرتهم مع كثرتهم قوية بخدمة الخلفاء وهم أصحاب المملكة وأنا فأضعف عنهم من وجهين: أحدهما وحدتي، والثانية: إن الذين يعنون بي من الناس محتاجون إلى الأصل الذي يعنى بأعدائي الذي هو أمير المؤمنين»[1]. ومن موضع قريب من هذا القول يذكر: «وأنا الآن ذاكر ههنا آخر الآبار التي حفروها لي، سوى ما كان لي معهم قديماً خاصة مع بني موسى والجالينوسيين والبقراطيين»[2].

يستفاد من كل هذه الأقوال أن المؤامرة التي حيكت ضد الرجل لم تكن بسيطة، وإنما اشترك فيها كثيرون غير بختيشوع والطيفوري، وإنها في رأي حنين بن إسحق ترجع إلى حسدهم إياه وإنكارهم عليه نعمة المعرفة التي وهبه الله إياها. وأحسب أن مثل هذه الشدائد تنزل بالعلماء، وتتكرر بصورة أو بأخرى على مر العصور.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٦٦.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٦٦.

الفصل الرابع

الكتابات التي ترجمها حنين بن إسحق

الكتابات التي ترجمها حنين

إذا كانت تلك هي الكتابات التي ذكر ابن أبي أصيبعة أن حنين بن إسحق ألفها ووضعها، فإنه بذكر في موضع آخر الكتابات التي ترجمها، خاصة كتابات جالينوس. يقول ابن أبي أصيبعة «ولجالينوس من المصنفات كتب كثيرة جداً. وهذا ذكر ما وجدته منها منتشراً في أيدي الناس مما قد نقله حنين بن إسحق العبادي وغيره إلى العربي، وأغراض جالينوس في كل كتاب منها». لقد ذكر ابن أبي أصيبعة كتب جالينوس إجمالاً دون أن يشير إلى مترجم كل منها، لكننا سوف نثبت أمام كل مصنف مترجمه.

١ ـ **فينكس**[1]: أي الفهرست، وقد ذكره ابن أبي أصيبعة بينكس، لكن نشرة بدوي تصحح الخطأ، وأول ترجمه لهذا الكتاب إلى السريانية قام بها أيوب الرهاوي (الأبرش)، لكن حنين ترجمه بعد ذلك إلى السريانية لداود المتطبب، ثم ترجمه إلى العربية لأبي جعفر محمد بن موسى. وهو مقالتان:

المقالة الأولى: ذكر فيها كتبه في الطب.

المقالة الثانية: ذكر فيها كتبه في المنطق والفلسفة والبلاغة والنحو.

---

(١) يذكر حنين بن إسحق في رسالته إلى علي بن يحيى أنه أضاف مقالة ثالثة بالسريانية إلى هذا الفهرست بيّن فيها ما ترك جالينوس ذكره من الكتب التي وضعها، وأشار إلى أسباب تركه لها.

٢ ـ **كتاب في مراتب قراءة كتبه**: (أي جالينوس). ترجم هذا الكتاب إلى السريانية وقد قام بهذه الترجمة إسحق بن حنين بناءً على طلب بختيشوع. ثم ترجمه حنين إلى العربية لأبي الحسن أحمد بن موسى. والكتاب مقالة واحدة، غرض جالينوس فيها أن يخبر كيف ينبغي أن ترتب كتبه في قراءتها كتاباً بعد كتاب من أولها إلى آخرها.

٣ ـ **كتاب الفرق**: يذكر بدوي[١] في نشرته لرسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى قول حنين كما يلي: «وقد كان ترجمة قبلي (أي حنين) إلى السرياني رجل يقال له ابن سهدا من أهل الكرخ وكان ضعيفاً في الترجمة ثم إني ترجمته وأنا حدث من أبناء عشرين سنة لمتطبب من أهل جند يسابور يقال له شيريشوع بن قطرب من نسخة يونانية كثيرة الإسقاط، ثم سألني بعد ذلك وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها حبيش تلميذي إصلاحه بعد أن كانت قد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك بعضها ببعض حتى صحت منها نسخة واحدة ثم قابلت بتلك النسخة السرياني وصححته، وكذلك من عادتي أن أفعل في جميع ما أترجمه. ثم ترجمته بعد سُنّيات إلى العربية لأبي جعفر محمد بن موسى».

كذلك يذكر ابن أبي أصيبعة أن هذا الكتاب على ما يقول جالينوس «أول كتاب يقرأه من أراد تعليم صناعة الطب، وغرضه فيه أن يصف ما يقوله كل واحد من فرقة أصحاب التجربة وأصحاب القياس وأصحاب الحيل، في تثبيت ما ندعى والاحتجاج له والرد على من خالفه، وكيف الوجه في الحكم على الحق والباطل منها».

وفي مخطوطات أيا صوفيا[٢] مخطوطة لهذا المؤلف.

---

(١) عبد الرحمن بدوي، دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، ص ١٥١.

(٢) مخطوطات أيا صوفيا ٣٥٨٨ (١) ـ ف ٧٥٧، ونسخة هذا المخطوط ترجع إلى القرن الثامن الهجري، ونسخت نسخاً جيداً.

أوله:

إن بعض الناس قسم الطب قسمين، وبعضهم قسمه خمسة أقسام، والذين قسموه قسمين قالوا: إن منه علم ومنه عمل، والعلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام أحدها: علم الطبائع، والثاني: علم الأسباب والدلائل.

آخره:

ويقولون إن الورم الذي لا يرشح منه شيء هو مركب، ولا يعلمون أن الورم إذا حدث في عضوٍ متخلخل أيضاً بمنزلة العين، إن كانت مادته مادة رقيقة، رشح وجرى منه بعضها، وإن كانت غليظة لم يرشح شيء منها.

٤ ـ **كتاب الصناعة الصغيرة**: وهو مقالة واحدة، «وقد قال جالينوس في أوله أنه أثبت فيه جمل ما قد بينه على الشرح والتلخيص من غيره من الكتب، وإن ما فيه بمنزلة النتائج لما فيها». ترجم هذا الكتاب ترجمات متعددة: واحدة قام بها سرجيس الرأس عيني، ولم يكن ضالعاً في الترجمة، وأخرى لابن سهدا، وثالثة من عمل أيوب الرهاوي، أما حنين فقد ترجمه لداود المتطبب ثم لأبي جعفر محمد بن موسى.

٥ ـ **كتاب النبض الصغير**: وهو مقالة واحدة عنونها جالينوس إلى «طوثرن وسائر المتعلمين». وفي هذا الكتاب «يصف ما يحتاج المتعلمون إلى عمله من أمر النبض، ويعدّد فيه أولاً أصناف النبض، وليس بذكرها فيه جميعها، لكن ما يقوي المتعلمون على فهمه فيها. ثم يصف بعد الأسباب التي تغير النبض ما كان فيها طبيعياً، وما كان فيها ليس بطبيعي، وما كان خارجاً في الطبيعة». وقد ترجم هذا الكتاب أيضاً ابن سهدا إلى السريانية، ثم ترجمه حنين إلى السريانية ثم العربية.

وهذا هو الكتاب الثالث من جوامع الكتب الستة عشر التي كانت تقرأ على المتعلمين بالإسكندرية، وله نسخة في أيا صوفيا[1].

(١) مخطوطات أيا صوفيا ٣٥٨٨ (٣) ـ ف ٧٥٧ ـ ونسخته بقلم جيد، نسخت في القرن الثامن الهجري.

أوله:

العروق الضوارب، منها ما تدرك حركته حساً، ومنها ما لا تدرك حركته حسّاً، والتي لا تدرك حركته حسّاً إنما تفوت الحسّ..

آخره:

نوع الاختلاف الذي يكون في نبضه واحدُ، وهو الذي انبسط العرق الضارب أحس من يحسّه أن العرق كأنه رمل.

٦ ـ **كتاب جالينوس إلى أغلوقن**: وهو فيلسوف يوناني، ومعنى الكلمة باليونانية (الأزرق)[١]، وكان فيلسوفاً وعندما رأى من آثار جالينوس في الطب ما أعجبه سأله أن يكتب له ذلك الكتاب. وقد قام سرجيس الرأس عيني بترجمة هذا الكتاب إلى السريانية، بعد أن تمكن من الترجمة، ثم ترجمه حنين ترجمتين إحداهما إلى السريانية لسلمويه، والأخرى إلى العربية لأبي جعفر محمد بن موسى.

والمقالة الأولى من الكتاب يصف فيها دلائل الحُميّات ومداواتها، ولم يذكرها كلها، لكن اقتصر منها على ما ذكر ما يعرض كثيراً. وتنقسم هذه المقالة إلى قسمين: الأول يصف فيه الحُميّات التي تخلو من الأعراض الغريبة، والثاني يصف فيه الحُميّات التي معها أعراض غريبة. وأما المقالة الثانية فيصف فيها دلائل الأورام ومداواتها.

وهو الكتاب الرابع من الكتب الستة عشر التي كانت تقرأ على المعلمين بالإسكندرية، وبه مقالتان[٢].

أول المقالة الأولى:

اسم الطبيعة يجري في كلام أبقراط على أربعة أوجه، أحدها مزاج

---

(١) كلمة اغلوقن باليونانية [illegible] تعني الأخضر وليس الأزرق كما وردت عند ابن أصيبعة.

(٢) مخطوطات آيا صوفيا ٣٥٨٨ ـ ف ٧٥٧، نسخة بخط جيد ترجع للقرن الثامن الهجري.

البدن، والثاني هيئة البدن، والثالث القوة المدبرة للبدن، والرابع حركة النفس.

آخرها:

التهاب مرض في عضو من الأعضاء، وأمّا من قرب عهده منهم، فيعنون بقولهم، الورم الضار الصلب الذي يدافع اللمس ويوجع.

أول المقالة الثانية:

من الأمراض أشياء تعرض في كل بدن، وقد ذكرها جالينوس في كتبه.

آخرها:

فجمعها بالنوع واحدة، إلا أن المحرق أقوى وأغلظ، والمعفّن أقل قوة، وهو ألطف.

٧ ـ **كتاب في العظام**: هـذا الكتاب مقالة واحدة وعنونه جالينوس في العظام للمتعلمين، وذلك إنه يريد أن يقدم المتعلم للطب تعلم علم التشريح على جميع فنون الطب، لأنه لا يمكن عنده دون معرفة التشريح أن يتعلم شيئاً من الطب القياسي، وغرض جالينوس من هذا الكتاب أن يصف حال كل واحد من العظام من نفسه وكيف الحال من اتصاله بغيـره.

ترجم هذا الكتاب إلى السريانية ترجمتين: الأولى قام بها سرجس، وليست دقيقة. والثانية من عمل حنين بن إسحق بناءً على طلب يوحنا بن ماسويه. ثم ترجمه إلى العربية بناءً على طلب أبي جعفر محمد بن موسى.

٨ ـ **كتاب في العضل**: وهو مقالة واحدة، وغرض جالينوس هنا «أن يصف أمر جميع العضل الذي من كل واحد من الأعضاء كم هي وأي العضل هي ومن أين تبتدىء كل واحدة منها وما فعلها بغاية الاستقصاء». وهذا الكتاب في ترجمتين للعربية، واحدة قام بها حنين، والأخرى من عمل حُبيْش.

٩ ـ **كتاب في العصب**: «مقالة كتبها إلى المتعلمين وغرضه فيها أن

تصف كم نوعاً من العصب تنبت من الدماغ والنخاع، وأي الأعصاب هي وكيف وأين تنقسم كل واحدة منها وما فعلها». وقد ترجمه حنين إلى العربية.

١٠ ـ كتاب في العروق: «هذا الكتاب عند جالينوس مقالة واحدة يصف فيها أمر العروق التي تنبض والتي لا تنبض، كتبه للمتعلمين وعنونه إلى انطانس. فأما أهل الإسكندرية فقسموه إلى مقالتين: مقالة في العروق غير الضوارب، وغرضه فيه أن يصف كم عرقاً تنبت من الكبد وأي العروق هي وكيف هي، وأين ينقسم كل واحد منها، وكم شرياناً تنبت من القلب، وأي الشريانات هي، وكيف هي وأين تنقسم». وقد ترجمه حنين بن إسحق.

١١ ـ كتاب الأسطقسات: وهو مقالة واحدة «وغرضه فيه أن يبين أن جميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد، وهي أبدان الحيـوان والنبات والأجسام التي تتولد من بطن الأرض، إنما تركيبها من الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض، وأن هذه هي الأركان الأول البعيدة لبدن الإنسان وأما الأركان الثواني العربية التي بها قوام بدن الإنسان وسائر ماله دم من الحيوان، فهي الأخلاط الأربعة، أعني الدم والبلغم والمُرَّتين». ترجم هذا الكتاب ثلاث ترجمات:

الأولى: قام بها سرجس الرأس عيني، إلى السريانية، وهي سيئة للغاية.

الثانية: إلى السريانية، وقام بها حنين.

الثالثة: إلى العربية وقام بها حنين أيضاً.

وهو الكتاب الخامس من جوامع الكتب الستة عشر التي كانت تقرأ على المعلمين بالإسكندرية، تحدّث فيه عن العناصر بحسب رأي أبقراط[1].

أوله:

أجناس العناصر ثلاثة، منها عناصر بعيدة تعم جميع الأجسام المركبة

---

(١) أيا صوفيا ٣٥٨٨ ـ ف ٧٥٧، والنسخة واضحة ترجع للقرن الثامن الهجري.

كلها، وهي النار والهواء والماء والأرض، ومنها. . . . تخص أبدان الحيوان الذي له دم، وهي الأخلاط الأربعة، أعني الدمَ، والبلغم، والمرَّة الصفراء، والمرَّة السوداء.

آخره:

فإذا. . . الأدوية المسهلة هذه الأخلاط عندما يستنظف. . . اجتذابها. . . مع الخلط الذي الدواء المسهل مخصوص. . . . خلط آخر وليس ذلك الدواء مخصوص به فأسهله.

١٢ ـ **كتاب المزاج**: وهو ثلاث مقالات: «وصف في المقالتين الأولتين منه أصناف مزاج أبدان الحيوان، فبيّن كم هي وأي الأصناف هي، ووصف الدلائل التي تدل على كل واحد منها. وذكر في المقالة الثالثة منه أصناف مزاج الأدوية، وبين كيف تختبر وكيف يمكن معرفتها». وقد ترجمه سرجس إلى السريانية، ثم ترجمه حنين بعد ذلك إلى السريانية والعربية لإسحق بن سليمان.

١٣ ـ **كتاب القوى الطبيعية**: وهو ثلاث مقالات: «وغرضه فيه أن يبين أن تدبير البدن يكون بثلاث قوى طبيعية، وهي القوة الحابلة والقوة المُنْمية والقوة الغاذية وأن القوة الحابلة مركبة من قوتين إحداهما تغير المني وتحيله حتى تجعل منه الأعضاء المتشابهة الأجزاء، والأخرى تركيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء بالهيئة والوضع والمقدار، أو العدد الذي يحتاج إليه في كل واحد من الأعضاء المركبة. وأنه يخدم القوة الغاذية أربع قوى وهي القوة الجاذبة والقوة الممسكة والقوة المغيّرة والقوة الدافعة». قام سرجس بترجمة هذا الكتاب إلى السريانية ثم جاءت ترجمته بعد ذلك إلى السريانية على يد حنين وكان عمره سبع عشر عاماً بناءً على طلب جبريل بن بختيشوع، وكان ثاني كتاب يترجمه.

وقد عدّهُ ابن النديم في كتب جالينوس الستّة عشر، التي يقرأها المتطبّبون على الولاء، وذكر أنه ثلاث مقالات[1].

(١) فهرس مخطوطات أحمد الثالث ٢١١٠ (١) طب ـ ف ١١٥٦. ونسخته مكتوبة بخط جميل ترجع للقرن السابع الهجري.

أوله:

اللهم أعن. المقالة الأولى، من كتاب جالينوس في القوى الطبيعية، ترجمة حنين بن إسحاق.

قال: لمَّا كان الحسّ والحركة الإرادية خاصّين للحيوان، والنمـوّ والغذى عامّين للحيوان والنبات، صارت الأولى أفعالاً للنفس، والثانية أفعالاً للطبيعية، وإن صيَّر أحدٌ للنبات نفساً، وأراد أن يُفرق بين هاتين النَّفسين، فسمّى هذه نفساً نباتية، وسمّي تلك نفساً حسّية، لم يأتِ بشيء آخر.

آخره:

فإذا كان في أفضيَّة العروق الضّواب بخار أو دمٌ لطيف، لم يجتذب من الأخلاط المحتبسة في المعدة والأمعاء شيئاً أصلاً، أو كان ما تجتذبه منها شيئاً يسيراً جداً.

١٤ ـ **كتاب العلل والأعراض:** ست مقالات، وهذا الكتاب أيضاً لجالينوس مقالاته متفرقة، وإنما الإسكندريون جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً، وعنـون جالينـوس المقالـة الأولى من هذه الست المقـالات في أصناف الأمراض، ووصف في تلك المقالة كم أجناس الأمراض، وقسم كل واحد من تلك الأجناس إلى أنواعه حتى انتهى في القسمة إلى أقصى أنواعها. وعنون المقالة الثانية منها في أسباب الأمراض، وغرضه فيها موفق لعنوانها، وذلك أنه يصف بها كم أسباب كل واحد من الأمراض وأي الأسباب هي؛ وأما المقالة الثالثة من هذه الست فعنونها في أصناف الأعراض، ووصف فيها كم أجناس الأعراض وأنواعها، وأي الأعراض هي. وأما الثلاث المقالات الباقية فعنونها في أسباب الأعراض، ووصف فيها كم الأسباب الفاعلة لكل واحد من الأعراض، وأي الأسباب هي. ولهذا الكتاب كما يذكر حنين ثلاث ترجمات إلى السريانية، فكان أن ترجمه سرجس مرتين إلى السريانية، ونهض حنين في صدر شبابه لترجمته للمرة الثالثة إلى ذات اللغة، ثم أقدم حُبيْش على ترجمة هذه المقالات إلى العربية لأبي الحسن علي بن يحيى.

أوله[1]:

قال جالينوس: إن أول ما ينبغي لنا أن نذكره، ما الشيء الذي تسميه مرضاً، كيما نعلم غرض هذه المقالة، وإلى أيّ شيء يقصد بها، والثاني بعد هذا، كم مَبلغ جميع الأمراض البسيطة المفردة الأول، التي هي بمنزلة العناصر لسائر الأمراض.

آخره:

فعلى هذا المثال يمكنك أن تستخرج في جميع أجناس الأغراض أنها تتبع بعضها بعضاً دائماً، وأنّها لا تتبع دائماً، وأما أنا فلشفقتي... الوقت بالتطويل، قد رأيت أن أقطع الكلام هنا.

تمت المقالة السادسة من كتاب جالينوس.

١٥ ـ **كتاب تعرّف على علل الأعضاء الباطنة**: ويعرف أيضاً بالمواضع الآلمة ست مقالات، وغرضه فيه أن يصف دلائل يستدل بها على أحوال الأعضاء الباطنة إذا حدثت فيها الأمراض، وعلى تلك الأمراض التي تحدث فيها أي الأمراض هي، ووصف في المقالة الأولى وبعض الثانية منه السبل العامية التي تتعرف بها الأمراض مواضعها وكشف في المقالة الثانية خطأ أرخيجانس في الطرق التي سلكها في طلب هذا الغرض ثم أخذ في باقي المقالة الثانية، وفي المقالات الأربع التالية لها في ذكر الأعضاء الباطنة وأمراضها عضواً عضواً. وابتداءً من الدماغ وهلم جراً على الدوام يصف الدلائل التي يستدل بها على واحد واحد منها إذا اعتل، كيف تتعرف علته إلى أن انتهى إلى أقصاها. ولهذا الكتاب ترجمات قام بها سرجس، وأصلح بعضها حنين ولكن حنين إعادة ترجمة الكتاب بناءً على طلب إسرائيل بن زكريا (الطيفوري)، وكذا ترجمة إلى العربية حُبَيْش بن الأعسم ابن أخت حنين بناءً على طلب أحمد بن موسى.

---

(١) مخطوطات احمد الثالث ٢١١٠ (٣) ـ ف ١١٥٦. ونسخة هذا المخطوط مكتوبة بخط واضح، وترجع للقرن الثامن الهجري، إلا أن بعض أوراقها مطموسة التصوير.

١٦ ـ **كتاب النبض الكبير**: هذا الكتاب جعله جالينوس في ست عشرة مقالة وقسمها أربعة أجزاء، في كل واحد من الأجزاء أربع مقالات، وعنون الجزء الأول منها في أصناف النبض وغرضه فيه أن يبين كم أجناس النبض الأول، وأي الأجناس هي، وكيف ينقسم كل واحد منها إلى أنواعه، إلى أن ينتهي إلى أقصاها. وعمد في المقالة الأولى من هذا الجزء إلى ما يحتاج إليه من صفة أجناس النبض وأنواعها فجمعه فيها عن آخره. وأفرد الثلاث مقالات الباقية من ذلك الجزء للحجاج، والبحث عن أجناس النبض وأنواعه وعن حده. وعنون الجزء الثاني في تعرف النبض، وغرضه فيه أن يصف كيف يتعرف كل واحد من أصناف النبض بمجسة العرق، وعنون الجزء الثالث في أسباب النبض، وغرضه فيه أن يصف من أي الأسباب يكون كل واحد من أصناف النبض. وعنون الجزء الرابع في تقدمة المعرفة من النبض وغرضه فيه أن يصف كيف يستخرج سابق العلم من كل واحد من أصناف النبض.

ترجمات هذا الكتاب:

ا ـ ترجم سرجس المقالات السبع الأولى من الكتاب إلى السريانية.

ب ـ بناءً على طلب جبريل بن بختيشوع قام أيوب الرهاوي بترجمة المقالات السبع الأخرى، إلى السريانية.

جـ ـ قام حنين بن إسحق بناءً على طلب يوحنا بن ماسويه بترجمة الكتاب بأسره إلى السريانية ـ وعلى ما يقول حنين فقد بالغ في العناية بالتمحيص وحسن العبارة.

د ـ ترجم حنين المقالة الأولى من الكتاب لمحمد بن موسى، وكانت هذه الترجمة إلى العربية.

هـ ـ من الترجمة السريانية الكاملة التي قام بها حنين في بادىء الأمر، أنجز حبيش بن الأعسم ترجمة عربية كاملة للكتاب بأسره.

١٧ ـ **كتاب أصناف الحُميّات**: مقالتان وغرضه فيه أن يصف أجناس الحُميّات وأنواعها ودلائلها. وصف في المقالة الأولى منه جنسين من

أجناسها، أحدهما يكون في الروح، والآخر في الأعضاء الأصلية. ووصف في المقالة الثانية الجنس الثالث منها الذي يكون في الأخلاق إذا غفت.

ترجماته:

أ ـ أول ترجمة لهذا الكتاب قام بها سرجس وهي ترجمة رديئة على ما يخبرنا حنين.

ب ـ وقد طلب جبريل بن بختيشوع من حنين ترجمته إلى السريانية وكان ذلك في حداثته، ففعل حنين. وكانت هذه أول ترجمة يقوم بها حنين لكتب جالينوس إلى السريانية.

جـ ـ وما أن تقدم حنين في السن ونضج، وضلع في الترجمة تصفح الكتاب فوجد ترجمته الأولى معيبة، فأصلح الترجمة وأهداها لولده إسحق.

د ـ ترجم حنين ذات الكتاب مرة أخرى لأبي الحسن أحمد بن موسى إلى العربية.

١٨ ـ كتاب البُحْران: وهو ثلاث مقالات، وفيه يضيف جالينوس كيف يصل الإنسان إلى أن يتقدم، فيعلم هل يكون البُحْران أم لا، وإن كان يحدث فمتى يحدث، وبماذا، وإلى أي شيء يؤول أمره. وقد قام سرجس بترجمة هذا الكتاب إلى يوحنا بن ماسويه ثم أصلح حنين هذه الترجمة وهذبها، وأخيراً ترجمه إلى العربية بناءً على طلب محمد بن موسى.

١٩ ـ كتاب أيام البُحْران: وهو ثلاث مقالات، وغرضه في المقالتين الأولتين منه أن يصف اختلاف الحال من الأيام في القوة وأيهما يكون فيه البُحْران وأيهما لا يكون فيه البُحْران وأيهما لا يكاد يكون فيه، وأي تلك التي يكون فيها البُحْران يكون البُحْران الحادث فيها موجوداً، وأيهما يكون البحران الحادث فيها مذموماً، وما يتصل بذلك. ويصف في المقالة التالية الأسباب التي من أجلها اختلفت الأيام في قواها هذا الاختلاف.

ترجماته:

أ ـ ترجمة سرجس إلى السريانية.

ب ـ أصلح حنين الترجمة السريانية التي أعدها سرجس.
جـ ـ ثم أخيراً ترجمة حنين إلى العربية بناءً على طلب محمد بن موسى.

٢٠ ـ **كتاب حيلة البرء**: أربعة عشرة مقالة وغرضه فيه أن يصف كيف يداوي كل واحد من الأمراض بطريق القياس ويقتصر فيه على الأعراض العامية التي ينبغي أن يقصد قصدها في ذلك، ويستخرج منها ما ينبغي أن يداوي به كل مرض من الأمراض، ويضرب لذلك مثالات يسيرة من أشياء جزئية. وكان وضع ست مقالات منه لرجل يقال له إيارن بين في المقالة الأولى والثانية منها الأصول الصحيحة التي عليها يكون مبني الأمر في هذا العلم ونسخ الأصول الخطأ التي أصلها أراسطراطس وأصحابه. ثم وصف المقالات الأربع الباقية مداواة تفرق الاتصال من كل واحد من الأعضاء. ثم أن إيارن توفي فقطع جالينوس استتمام الكتاب إلى أن سأله أوجانيوس أن يتممه، فوضع له الثماني المقالات الباقية فوصف في الست الأول منها مداواة أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء وفي المقالتين الباقيتين مداواة أمراض الأعضاء المركبة، ووصف في المقالة الأولى من الست الأول مداواة أصناف سوء المزاج كلها إذا كانت في عضو واحد وأجرى أمرها على طريق التمثيل بما يحدث في المعدة. ثم وصف في المقالة التي بعدها وهي الثامنة من جملة الكتاب مداواة أصناف الحمى التي تكون في الروح، وهي حمى يوم. ثم وصف في المقالة التي تتلوها وهي التاسعة مداواة الحمى المطبقة. ثم في العاشرة مداواة الحمى التي تكون في الأعضاء الأصلية وهي الدق ووصف فيها جميع ما يحتاج إلى عمله من أمر استعمال الحمام. ثم وصف في الحادية عشرة والثانية عشرة مداواة الحميات التي تكون من عفونة الأخلاط. أما في الحادية عشرة فما كان منها خلواً من أعراض غريبة. وأما في الثانية عشرة فما كان منها مع أغراض غريبة.

ترجماته:
أ ـ قام سرجس بترجمة المقالات الست الأول من الكتاب إلى السريانية

وكان ذلك في بداية عهده بالترجمة، فجاءت الترجمة ضعيفة لأنه لم يكن بعد يقوى على الترجمة.

ب ـ وبعد أن تمكن سرجس من الترجمة، نقل المقالات الثماني الباقية في ترجمة أدق من الأولى.

جـ ـ طلب سلمويه من حنين أن يصلح ترجمة المقالات الثماني، فجلسا معاً وأمسك سلمويه بالنسخة السرياني ومع حنين الأصل اليوناني حتى يتسنى لحنين إصلاح الترجمة، وكان أن اختيرت المقالة السابعة، يقول حنين «وكنت كلما مر بيّ شيء مخالف لليوناني خبرتّه به، فجعل يصلح حتى كبر عليه الأمر وتبيّن له أن الترجمة من الرأس أرخى... فسألني ترجمة تلك المقالات فترجمتها عن آخرها».

د ـ قام حنين بترجمة الكتاب مرة أخرى من أوله لبختيشوع بن جبريل، وقد جاءت هذه الترجمة للمقالات الثماني الأخيرة.

هـ ـ قام حبيش بترجمة الكتاب كله من النسخ السريانية التي أعدها حنين، وسأل حنين أن يتصفح الترجمة ويصلح ما بها ففعل.

٢١ ـ **كتاب علاج التشريح**: وهو الذي يعرف بالتشريح الكبير، كتبه في خمس عشرة مقالة، وذكر أنه قد جمع فيه كل ما يحتاج إليه من أمر التشريح، ووصف في المقالة الأولى منه العضل والرباطات في اليدين، وفي الثانية العضل والرباطات في الرجلين، وفي الثالثة العصب والعروق التي في اليدين والرجلين، وفي الرابعة العضل الذي يحرك الخدين والشفتين، والعضل الذي يحرك اللحى الأسفل إلى ناحية الرأس وإلى ناحية الرقبة والكتفين، وفي الخامسة عضل الصدر ومراق البطن والمتنين والصلب. ووصف في السادسة آلات الغذاء وهي المعدة والأمعاء والكبد والطحال والكليتين والمثانة وسائر ما أشبه ذلك. وفي السابعة والثامنة وصف تشريح آلات النفس أما في السابعة فوصف ما يظهر في التشريح في القلب والرئة والعروق والضوارب بعد موت الحيوان وما دام حياً، وأما في الثامنة فوصف ما

يظهر في التشريح في جميع الصدر. وأفرد المقالة التاسعة بأسرها لصفة تشريح الدماغ والنخاع. ووصف في العاشرة في تشريح العينين واللسان والمريء وما يتصل بهذه من الأعضاء. ووصف في الحادية عشرة الحنجرة والعظم الذي يشبه اللام في حروف اليونانية، وما يتصل بذلك من العصب الذي يأتي هذه المواضع، ووصف في الثانية عشرة تشريح أعضاء التوليد، وفي الثالثة عشرة تشريح الضوارب وغير الضوارب، وفي الرابعة عشرة تشريح العصب الذي ينبت من النخاع. قال جالينوس: وهذا الكتاب المضطر إليه من علم التشريح، وقد وضعت كتباً أخر لست بمضطر إليها، لكنها نافعة في علم التشريح.

ترجم هذا الكتاب إلى السريانية أيوب الرهاوي بناءً على طلب جبريل بن بختيشوع، ثم أصلح حنين ترجمة أيوب ليوحنا بن ماسويه.

٢٢ ـ كتاب فيما وقع من الاختلاف بين القدماء في التشريح: وهو في مقالتين وفيه يبين أمر الاختلاف الذي وقع في كتب التشريح فيما بين من كان قبله من أصحاب التشريح أي شيء منه، إنما هو في الكلام فقط، رأى شيء منه وقع في المعنى وما سبب ذلك.

ترجماته:

أ ـ ترجمة أيوب الرهاوي إلى السريانية، وهي سيئة.

ب ـ حاول حنين إصلاحه، فلم يتيسر له لكثرة الأخطاء في ترجمة أيوب، فأقبل حنين على المادة لترجمة الكتاب كله إلى السريانية ليوحنا بن ماسويه.

د ـ ترجم حبيش بن الأعسم الكتاب كله إلى العربية لمحمد بن موسى.

٢٣ ـ كتاب تشريح الأموات: وهو مقالة واحدة يصف فيها الأشياء التي تعرف من تشريح الحيوان الميت، أي الأشياء هي:

ترجماته:

أ ـ إلى السريانية ترجمة أيوب الرهاوي.

ب ـ إلى السريانية أيضاً ترجمة حنين.
جـ ـ إلى العربية ترجمة حبيش لمحمد بن موسى.

٢٤ ـ كتاب تشريح الأحياء: مقالتان غرضه فيه أن يبين الأشياء التي تعرف من تشريح الحيوان الحي، أي الأشياء هي:

ترجماته:
أ ـ إلى السريانية ترجمة قام بها أيوب الرهاوي.
ب ـ إلى السريانية ترجمة قام بها حنين.
جـ ـ إلى العربية لمحمد بن موسى ترجمة قام بها حبيش.

٢٥ ـ كتاب في علم أبقراط بالتشريح: هذا الكتاب جعله جالينوس في خمس مقالات، وكتبه ليوثيوس في حداثة سنه، وغرضه فيه أن يبين أن أبقراط كان حاذقاً بعلم التشريح، وأتى على ذلك بشواهد من جميع كتبه.

ترجماته:
أ ـ ترجمة أيوب الرهاوي إلى السريانية.
ب ـ ترجمة حنين مع الكتب السابقة إلى السريانية.
جـ ـ ترجمة حبيش إلى السريانية لمحمد بن موسى.

٢٦ ـ كتاب في آراء أراسطراطس بالتشريح: وهو ثلاث مقالات وفيه يشرح ما قاله أرسطراطس في التشريح في جميع كتبه، وكان حنين أول من ترجمه إلى السريانية، ثم ترجمه حبيش بن الأعسم إلى العربية لمحمد بن موسى.

٢٧ ـ كتاب في تشريح الرحِم: وهو مقالة واحدة صغيرة كتبه لامرأة قابلة في حداثة سنه، وفيه جميع ما يحتاج إليه من تشريح الرحم، وما يتولد فيها في الوقت الذي للحمل. وقد ترجمه حنين إلى السريانية، وترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى.

٢٨ ـ كتاب في حركة الصدر والرئة: وهو ثلاث مقالات، وكان جالينوس وضعه في حداثة سنه بعد عودته الأولى من رومية، وكان حينئذٍ مقيماً بمدينة سمرنا عند فالقس، وإنما كان سأله إياه بعض من كان يتعلم منه. وصف في المقالتين الأولتين منه ومن أول الثالثة ما أخذه عن فالقس معلمه، من ذلك الفن. ثم وصف في باقي المقالة الثالثة ما كان هو استخرج له.

ترجماته:

أ ـ أول ترجمة عربية أعدها اصطفن بن سبيل وذلك بناءً على طلب محمد بن موسى، ولم يسبق إليه.

ب ـ إصلاح حنين لترجمة اصطفن العربية.

جـ ـ ترجمة حبيش ليوحنا بن ماسويه من العربية إلى السريانية.

٢٩ ـ كتاب في علل النفس: وهو في مقالتين يبين فيهما من أي الآلات يكون التنفس عفواً ومن أيهما يكون باستكراه. ترجم أيوب هذا الكتاب ترجمة سيئة ثم قام اصطفن بترجمته إلى العربية، وأخيراً أصلح حنين الترجمة السريانية لأيوب الرهاوي.

٣٠ ـ كتاب في الصوت: هذا الكتاب جعله في أربع مقالات بعد الكتاب الذي ذكرته قبله، غرضه فيه أن يبين كيف يكون الصوت وأي شيء هو وما مادته، وبأي الآلات يحدث وأي الأعضاء تعين على حدوثه، وكيف تختلف الأصوات.

٣١ ـ في حركة العضل: مقالتان وغرضه فيه أن يبين ما حركة العضل وكيف هي، وكيف تكون هذه الحركات المختلفة من العضل، وإنما حركته واحدة. ويبحث أيضاً فيه عن النفس هل هو من الحركات الإرادية أم من الحركات الطبيعية؟ ويفحص فيه عن أشياء كثيرة لطيفة من هذا الفن.

ترجماته:
١ ـ ترجمه حنين إلى السريانية.
٢ ـ ترجمه اصطفن إلى العربية.
٣ ـ قام حنين بناءً على طلب محمد بن موسى بمقابلة ترجمة اصطفن على الأصل اليوناني وإصلاحها.

٣٢ ـ مقالة في مناقضة الخطأ الذي اعتقد من تمييز البول من الدم.

٣٣ ـ مقالة في الحاجة إلى النبض.

ترجماته:
١ ـ ترجمها حنين إلى السريانية لسلمويه بن نيان.
٢ ـ ترجمها حبيش بن الأعسم إلى العربية ضمن كتاب النبض الكبير.

٣٤ ـ مقالة في الحاجة إلى التنفس.

ترجماته:
١ ـ ترجمة حنين إلى العربية بناءً على طلب محمد بن موسى.
٢ ـ ترجمة اصطفن إلى العربية.
٣ ـ ترجمة حنين إلى السريانية لتلميذه عيسى.

٣٥ ـ مقالة في العروق الضوارب، هل يجري فيها الدم بالطبع أم لا؟

ترجماته:
١ ـ ترجم حنين هذه المقالة إلى السريانية وهو في مقتبل العمر وعلى حداثة عهد بالترجمة وذلك بناءً على طلب جبريل.
٢ ـ قام عيسى بن يحيى بترجمتها إلى العربية.

٣٦ ـ كتاب في قوى الأدوية المسهلة: مقالة واحدة يبين فيها أن أسهل الأدوية ما يسهل ليس هو بأن كل واحد من الأدوية يحيل ما يصادفه في البدن إلى طبيعته ثم يندفع ذلك فيخرج، لكن كل واحد منها يجتذب خلطاً موافقاً مشاكلاً له.

ترجماته:

١ ـ إلى السريانية ترجمها أيوب الرهاوي.

٢ ـ ثم قام حنين بترجمتها إلى السريانية كذلك.

٣ ـ وترجمها إلى العربية عيسى بن يحيى.

٣٧ ـ **كتاب في العادات**: مقالة واحدة وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التي ينبغي أن ينظر فيها، ويوجد متصلاً بهذا الكتاب ومتحداً معه تفسير ما أتى به جالينوس فيها من الشهادات من قول فلاطن بشرح أبروقليس له، وتفسير ما أتى به من قول أبقراط بشرح جالينوس له.

ترجماته:

١ ـ ترجمها حنين إلى السريانية لسلمويه.

٢ ـ ترجمها حبيش بن الأعسم إلى العربية لأحمد بن موسى.

٣٨ ـ **كتاب في آراء أبقراط وفلاطن**: عشر مقالات وغرضه فيه أن يبين أن أفلاطن في أكثر أقاويله موافق لبقراط من قبل أنه عنه أخذها، وأن أرسطوطاليس فيما خالفهما فيه قد أخطأ. ويبين فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر قوة النفس المدبرة التي بها تكون الفكرة والتوهم والذكر، ومن أمر الأصول الثلاثة التي منها تنبعث القوى التي بها يكون تدبير البدن وغير ذلك من فنون شتى.

ترجماته:

١ ـ ترجمة أيوب الرهاوي إلى السريانية.

٢ ـ ترجمة حنين إلى السريانية.

٣ ـ ترجمة حبيش بن الأعسم إلى العربية لمحمد بن موسى.

٣٩ ـ **كتاب في الحركة المعتاصة**: مقالة واحدة، غرضه فيها أن يبين أمر حركات كان قد جهلها هو ومن كان قبله ثم علمها بعد.

ترجماته:

١ ـ ترجمة أيوب إلى السريانية.

٢ ـ ترجمة حنين لمحمد بن موسى إلى العربية.

٣ ـ ترجمة حنين إلى السريانية أيضاً.

٤٠ ـ كتاب في آلة الشم: وهو مقالة واحدة.

ترجماته:

١ ـ ترجمة حنين إلى السريانية.

٢ ـ ترجمة إسحق بن حنين إلى العربية.

٤١ ـ كتاب منافع الأعضاء: سبع عشرة مقالة بين في المقالة الأولى والثانية منه حكم الباري تبارك وتعالى في اتقان خلقه اليد، وبيّن في القول الثالث حكمته في اتقان الرجل، وفي الرابع والخامس حكمته في آلات الغذاء، وفي السادس، والسابع أمر آلات التنفس، وفي الثامن والتاسع أمر ما في الرأس، وفي العاشر أمر العينين وفي الحادي عشر سائر ما في الوجه، وفي الثاني عشر الأعضاء التي هي مشاركة للرأس والعنق، وفي الثالث عشر نواحي الصلب والكتفين. ثم وصف في المقالتين اللتين بعد تلك الحكمة في أعضاء التوليد، ثم في السادس عشر من أمر الآلات المشتركة للبدن كله وهي العروق والضوارب وغير الضوارب والأعصاب. ثم وصف في المقالة السابعة عشرة حال جميع الأعضاء ومقاديرها.

ترجماته:

١ ـ أول ما ترجمه كان سرجس الذي أنجز ترجمة سريانية رديئة جداً له.

٢ ـ بناءً على طلب سلمويه ترجيمه حنين إلى السريانية.

٣ ـ وقام حبيش بن الأعسم بترجمته إلى العربية.

٤٢ ـ مقالة في أفضل هيئات البدن: وهذه المقالة تتلو المقالتين الأولتين من كتاب المزاج.

ترجماته:

١ ـ أنجز حنين ترجمة سريانية لهذه المقالة.

٢ ـ ثم ترجمه إلى العربية لأبي الحسن علي بن يحيى.

٤٣ ـ مقالة في خصب البدن: وهي مقالة صغيرة وغرضه فيها بين من عنوانها.

ترجماته:

١ ـ لم يتمكن حنين من ترجمتها إلى العربية لما سأله يحيى ترجمتها.

٢ ـ قام حبيش بن الأعسم بترجمتها إلى العربية لمحمد بن موسى.

٤٤ ـ مقالة في سوء المزاج المختلف: وغرضه فيها يتبيَّـن من عنوانها، يذكر فيه أي أصناف سوء المزاج مستوفي البدن كله، وكيف يكون الحال فيه، وأي أصناف سوء المزاج هو مختلف في أعضاء البدن.

ترجماته:

١ ـ أنجز أيوب الرهاوي ترجمة عربية لهذه المقالة.

٢ ـ ثم قام حنين بترجمتها إلى العربية لأبي الحسن أحمد بن موسى.

٤٥ ـ كتاب الأدوية المفردة: هذا الكتاب جعله في إحدى عشرة مقالة، كشف في المقالتين الأولتين خطأً من أخطاء في الطرق الرديئة التي سلكت في الحكم على قوى الأدوية، ثم أصل في المقالة الثالثة أصلاً صحيحاً لجميع العلم بالحكم على القوى الأولى من الأدوية. ثم بين في المقالة الرابعة أمر القوى الثواني، وهي الطعوم والروائح أخبر بما يستدل عليها منها على القوى الأولى من الأدوية. ووصف في المقالة الخامسة القوى الثوالث من الأدوية وهي أفاعيلها في البدن من الأسخان والتبريد والتجفيف والترطيب، ثم وصف في المقالات الثلاث التي تتلو تلك قوة دواء من الأدوية التي هي أجزاء من النبات. ثم في المقالة التاسعة قوى الأدوية التي هي أجزاء من الأرض أعني أصناف التراب والطين والحجارة والمعادن، وفي

العاشرة قوى الأدوية التي هي مما يتولد في أبدان الحيوان. ثم وصف في الحادية عشرة قوى الأدوية التي مما يتولد في البحر والماء المالح.

ترجماته:

١ ـ أنجز يوسف الخوري ترجمة سريانية للمقالات الخمس الأولى. لكن ترجمته جاءت سيئة ومعيبة جداً، ولم يؤخذ بها.

٢ ـ حاول أيوب الرهاوي، إصلاح الترجمة السريانية ليوسف لكن لم تصلح الترجمة تماماً.

٣ ـ ترجم حنين بعد ذلك هذا الجزء إلى السريانية ترجمة دقيقة بناءً على طلب سلمويه.

٤ ـ ترجم سرجس المقالات الست الباقية التي تشكل الجزء الثاني من الكتاب إلى السريانية.

٥ ـ أصلح حنين ترجمة سرجس بمقابلتها بالأصل اليوناني.

٦ ـ قام حنين باختصار الكتاب في مجموعة مترجمة إلى السريانية.

٧ ـ ترجم الكتاب إلى العربية حبيش بن الأعسم.

أوّله[1]:

قال جالينوس: لست أحتاج أن أبيّن ها هنا مبلغ الانتفاع بمعرفة قوى الأدوية في تركيب ما يتخذ من الأدوية المركبة، وفي استعمال ما وجدنا منها.

آخر المقالة الحادية عشرة، في الحديث عن ماء الملح:

ويغسل ويجفف القروح المتعفّنة التي في الأمعاء، وأكثر ما يستعمله في هذا الوجه قوم من الأطباء. وماء البحر المالح، وماء السميكات المملوحة، وهو مانون... وقد استعملنا نحن هذا المانون في مُداواة القروح المتعفّنة الحادثة في الفم.

---

(١) مخطوطات أحمد الثالث ٢٠٨٣ ـ ف ١٠٣٦ ونسخته ترجع إلى القرن السادس الهجري، كتبت بخط أندلسي جميل، وعليها خط الرئيس هبة الله الإسرائيلي، المتوفى بعد الثمانين والخمسمائة.

٤٦ ـ **مقالة في دلائل علل العين**: وقد لخص فيها العلل التي تكون في كل واحدة من طبقات العين ووصف دلائلها.

ترجمتها:

أنجز سرجس الترجمة السريانية لهذه المقالة.

٤٧ ـ **مقالة في أوصاف الأمراض**: وصف فيها أمر أوقات المرض الأربعة، أعني الابتداء والتزايد والانتهاء والانحطاط.

ترجماتها:

١ ـ ترجم أيوب الرهاوي هذه المقالة إلى السريانية.
٢ ـ ترجم حنين ذات المقالة إلى السريانية.
٣ ـ قام عيسى بن علي بترجمتها إلى العربية.

٤٨ ـ **كتاب الامتلاء**: ويعرف أيضاً بكتاب الكثرة، وهو مقالة واحدة يصف فيها أمر كثرة الأخلاط ويصفها، ويصف دلائل كل واحدة من أصنافها.

ترجماته:

١ ـ أنجز حنين ترجمتين لهذا الكتاب إلى السريانية بناءً على طلب بختيشوع. أما الترجمة الأولى فقد جاءت جافة مركزة الأسلوب والعبارة على ما يبدو، ولذا طلب بختيشوع من حنين أن يعيد الترجمة ذاتها في أسلوب سهل يسير ففعل.
٢ ـ ترجمة اصطفن إلى العربية.

٤٩ ـ **مقالة في الأورام**: ووسمها جالينوس أصناف الغلظ الخارج عن الطبيعة، ووصف في هذه المقالة جميع أصناف الأورام ودلائلها.

ترجمها إبراهيم بن الصلت إلى العربية.

٥٠ ـ **مقالة من الأسباب البادية**: وهي الأورام التي تحدث من خارج البدن، يبين في هذه المقالة أن للأسباب البادية عملاً في البدن.

ترجمتها:
١ ـ ترجمة هذه المقالة أيوب الرهاوي.

٥١ ـ مقالة في الأسباب المتصلة بالأمراض: وقد ذكر فيها الأسباب المتصلة بالمرض الفاعلة له.

ترجمتها:
١ ـ ترجم هذه المقالة أيوب الرهاوي.

٥٢ ـ مقالة في الرعشة والنافض والاختلاج والتشنج:

١ ـ ترجم حبيش بن الأعسم هذه المقالة إلى اللغة العربية.

٥٣ ـ مقالة في أجزاء الطب: يقسم فيها الطب على طرق شتى من القسم والتقسيم.

١ ـ ترجم حنين هذه المقالة إلى السريانية لرجل من الفيوم.

٥٤ ـ كتاب المنى: مقالتان وغرضه فيه أن يبين أن الشيء الذي يتولد منه جميع أعضاء البدن ليس هو الدم كما ظن أرسطوطاليس، لكن تولد جميع الأعضاء الأصلية إنما هو من المني وهي الأعضاء البيض، وأن الذي يتولد من دم الطمث إنما هو اللحم الأحمر وحده.

ترجماته:
١ ـ ترجمة سريانية قام بها حنين لسلمويه.
٢ ـ ثم ترجمة عربية قام بها حنين أيضاً لأحمد بن موسى.

٥٥ ـ مقالة في تولد الجنين: المولود لسبعة أشهر.

ترجماته:
١ ـ ترجمة إلى السريانية قام بها حنين.
٢ ـ ثم ترجمة إلى العربية أنجزها حنين أيضاً.

٥٦ ـ مقالة في المرة السوداء: يصف فيها أصناف السوداء ودلائلها.

ترجماتها:

١ ـ ترجمة أيوب الرهاوي لبختيشوع.

٢ ـ ترجمها إلى العربية اصطفن وذلك لمحمد بن موسى.

٣ ـ ترجمها حنين إلى العربية.

٥٧ ـ كتاب أدوار الحميات وتراكيبها: مقالة واحدة يناقض فيها قوماً ادعوا الباطل من أمر أدوار الحميات وتراكيبها.

٥٨ ـ اختصار كتابه المعروف بالنبض الكبير: مقالة واحدة ذكر جالينوس أنه كمل فيها النبض. قال حنين: وأما أنا فقد رأيت باليونانية مقالة ينحى بها هذا النحو، ولست أصدق أن جالينوس الواضع لتلك المقالة، لأنها لا تحيط بكل ما يحتاج إليه من أمر النبض، وليست بحسنة التأليف أيضاً. وقد يجوز أن يكون جالينوس قد وعد أن يضع تلك المقالة فلم يتهيأ له وضعها، فلما وجده بعض الكذابين قد وعد ولم يفِ تحرض وضع تلك المقالة وأثبت ذكرها في الفهرست كيما يصدق فيها، ويجوز أن يكون جالينوس أيضاً قد وضع مقالة في ذلك غير تلك وقد درست كما درس كثير من كتبه وافتعلت هذه المقالة وضعها ومكانها.

٥٩ ـ كتاب في النبض: يناقض فيه أرخيجانس، قال جالينوس: أنه جعله في ثمانِ مقالات.

٦٠ ـ كتاب في رداءة التنفس: هذا الكتاب جعله في ثلاث مقالات، وغرضه فيه أن يصف أصناف التنفس الرديء وأسبابه وما يدل عليه، وهو يذكر في المقالة الأولى منه أصناف التنفس وأسبابه، وفي الثانية أصناف سوء التنفس وما يدل عليه كل صنف منها، وفي المقالة الثالثة يأتي بشواهد من كلام أبقراط على صحة قوله.

ترجماته:

١ ـ ترجمة أيوب الرهاوي إلى السريانية.

٢ ـ أصلح حنين ترجمة الرهاوي.

٣ ـ ترجمة حنين إلى العربية لأبي جعفر محمد بن موسى.

٦١ ـ كتاب نوادر تقدمة المعرفة: مقالة واحدة يحث فيها على تقدمة المعرفة، ويعلم حيلاً لطيفة تؤدي إلى ذلك، ويصف أشياء بديعة تقدم منها من أمر المرضى وخبر بها فعجب منه.

ترجماته:

١ ـ ترجمة سريانية قام بها أيوب الرهاوي.

٢ ـ ترجمة سريانية قام بها حنين.

٣ ـ ترجمة عيسى بن يحيى إلى العربية ترجمة أقرها حنين.

٦٢ ـ اختصار كتابه في حيلة البرء: مقالتان.

١ ـ ترجمة إبراهيم بن الصلت إلى السريانية.

٦٣ ـ كتاب المفيد: ثلاث مقالات، قصد في المقالة الأولى منها المناقضة لأراسطراطس لأنه كان يمنع من الفصد، وناقض في الثانية أصحاب أراسطراطس الذين بروميه في هذا المعنى بعينه، ووصف في الثالثة ما يراه من العلاج بالفصد.

ترجماته:

١ ـ إلى السريانية ترجمة سرجس.

٢ ـ إلى السريانية ترجم حنين المقالة الثانية.

٣ ـ إلى العربية ترجم اصطفن المقالة الثالثة.

٤ ـ إلى العربية ترجم عيسى المقالة الثانية.

٦٤ ـ كتاب البول: مقالة واحدة وغرضه فيه أن يبين طبيعة هذا المرض وأصنافه والتدبير الموفق لمن أشرف عليه.

ترجماته:

١ ـ ترجمة إلى العربية عيسى.

٢ ـ ترجمة إلى العربية اصطفن وأصلح حنين بعض مواضعها.

٣ ـ ترجمة عيسى مرة أخرى إلى العربية.

٤ ـ ترجمة حنين إلى السريانية.

٦٥ ـ مقالة في صفات لصبي يصرع:

١ ـ ترجمة عربية بقلم إبراهيم بن الصلت.

٢ ـ ترجمة إبراهيم بن الصلت أيضاً إلى السريانية.

٦٦ ـ كتاب قوي الأغذية: ثلاث مقالات عدد فيه جميع ما يغتذي به من الأطعمة والأشربة، ووصف ما في كل واحد منها من القوى.

ترجماته:

١ ـ إلى السريانية ترجمة سرجس.

٢ ـ إلى السريانية ترجمة أيوب الرهاوي.

٣ ـ إلى السريانية ترجمة حنين.

٤ ـ إلى العربية ترجمة حنين لإسحق بن إبراهيم الطاهري.

٥ ـ إلى العربية أيضاً ترجمة حبيش.

أوله[١]:

قال جالينوس: قد وَضَعَ الكتب في قوى الأغذية كثيرٌ من ذوي الفضل من الأطباء، وعنوا بما وضعوا في كتبهم من العلم بها عناية شديدة، وذلك لأن العلم بقوى الأغذية قريب من أن يكون أنفع علوم الطب كلها.

---

(١) مخطوطات دار الكتب المصرية ١٧٢٧ (١) طب ـ ف ١٠٢٤، والنسخة جيدة كتبت بخط واضح في سنة ٦٠٩ هـ.

آخره:

وكذلك يختلف الأمر بحسب اختلاف الصناعات والعادات والبلدان التي يطول تصرفهم وتقلبهم فيها دهراً طويلاً.

٦٧ ـ **كتاب التدبير الملطف**: مقالة واحدة وغرضه موافق لعنوانه.

ترجماته:

١ ـ ترجمة سريانية قام بها حنين ليوحنا بن ماسويه.

٢ ـ ترجمة عربية قام بها حنين لإسحق بن سليمان.

٦٨ ـ **اختصار الكتاب الذي في التدبير الملطف**: مقالة واحدة.

٦٩ ـ **كتاب الكيموس الجيد والرديء**: مقالة واحدة يصف فيها الأغذية ويذكر أيها تولد كيموسا محموداً، وأيها تولد كيموسا رديئاً.

ترجماته:

لهذا الكتاب ترجمات متعددة منها:

١ ـ ترجمة سرجس.

٢ ـ ترجمة حنين.

٣ ـ ترجمة ثابت بن قرة.

٤ ـ ترجمة حبيش.

٧٠ ـ **كتاب في أفكار أراسطراطس في مداواة الأمراض**: ثمانِ مقالات اختبر فيه السبيل التي سلكها أراسطراطس من المداواة ويبين صوابها من خطئها.

ترجم حنين هذه المقالات الثماني إلى السريانية لأجل بختيشوع.

٧١ ـ **كتاب تدبير الأمراض الحادة على رأي أبقراط**: مقالة واحدة.

ترجمه حنين إلى السريانية بناءً على طلب بختيشوع، وبعد ذلك ترجمه إلى العربية لمحمد بن موسى.

٧٢ ـ كتاب تركيب الأدوية جعله في سبع عشرة مقالة:

أجمل في سبع منها أجناس الأدوية المركبة، فعدد جنساً منها وجعل مثلاً جنس الأدوية التي تبنى اللحم في القروح على حدته، وجنس الأدوية التي تحلل على حدته، وجنس الأدوية التي تدمل، وسائر الأجناس الأدوية على هذا القياس، وإنما غرضه فيه أن يصف طريق تركيب الأدوية على الجمل. ولذلك جعل عنوان هذه السبع المقالات في تركيب الأدوية على الجمل والأجناس، وأما العشر المقالات الباقية فجعل عنوانها في تركيب الأدوية بحسب المواضع، وأراد بذلك أن صفته لتركيب الأدوية في تلك المقالات العشر ليس يقصد بها إلى أن يخبر أن صنفاً صنفاً منها يفعل فهل ما في مرض من الأمراض مطلقاً. لكن بحسب المواضع أعني العضو الذي فيه ذلك المرض، وابتداء فيه من الرأس. ثم هلم جراً على جميع الأعضاء إلى أن انتهى إلى أقصاها.

أقول: وجملة هذا الكتاب الذي رسمه جالينوس في تركيب الأدوية لا يوجد في هذا الوقت إلا وهو منقسم إلى كتابين، وكل واحد منهما على حدته ولا يبعد أن الإسكندرانيين لتبصرهم في كتب جالينوس صنعوا هـذا أو غيرهم. فالأول يعرف كتاب قاطاجانس ويتضمن السبع المقالات الأولى التي تقدم ذكرها، والآخر يعرف بكتاب الميامر ويحتوي على العشر المقالات الباقية. والميامر جمع ميمر، وهو الطريق. ويشبه أن يكون سمي هذا الكتاب بذلك إذ هو الطريق إلى استعمال الأدوية المركبة على جهة الصواب.

وترجماته ثلاث: أولى أنجزها سرجس إلى السريانية، والثانية من عمل حنين، والثالثة قام حبيش حيث نقل ترجمة حنين السريانية إلى العربية.

٧٣ ـ كتاب الأدوية التي يسهل وجودها وهي التي تسمى الموجودة في كل مكان مقالتان. وقال حنين: إنه قد أضيف إليه مقالة أخرى في هذا الفن وينسب إلى جالينوس، وما هي لجالينوس لكنها لفيلغريوس. وقال حنين أيضاً

أنه قد ألحق في هذا الكتاب هذياناً كثيراً وصفات بديعة عجيبة وأدوية لم يرها جالينوس ولم يسمع بها قط.

وقد ترجمه إلى السريانية.

٧٤ ـ **كتاب الأدوية المقابلة للأدواء**: جعله في مقالتين، ووصف في المقالة الأولى منه أمر الترياق، وفي المقالة الثانية منه أمر سائر المعجونات.

ترجمه يوحنا بن بختيشوع إلى السريانية بمساعدة حنين.

ثم ترجمه عيسى بن يحيى إلى العربية من ترجمة يوحنا.

٧٥ ـ **كتاب الترياق إلى مغيليانوس**: مقالة واحدة صغيرة. رأى حنين ترجمة سريانية لهذا الكتاب، ثم ترجمه عيسى إلى العربية.

٧٦ ـ **كتاب الترياق إلى قيصر**: وهذا الكتاب أيضاً مقالة واحدة.

ترجمه أيوب الرهاوي إلى السريانية.

ثم ترجمه يحيى بن البطريق إلى العربية على ما يعتقد حنين.

٧٧ ـ **كتاب الحيلة لحفظ الصحة**: ست مقالات وغرضه فيه أن يعلم كيف حفظ الأصحاء على صحتهم، ومن كان منهم على غاية كمال الصحة، ومن كانت صحته تقصر عن غاية الكمال، ومن كان منهم يسير بسيرة الأحرار، ومن كان منهم يسير بسيرة العبيد.

ترجماته:

١ ـ إلى السريانية ترجمه تيوفيل الرهاوي، وهذه الترجمة كما يصفها حنين سيئة للغاية.

٢ ـ إلى السريانية ترجمه حنين.

٣ ـ إلى العربية ترجمه حبيش.

٧٨ ـ كتاب إلى أسبولوس: مقالة واحدة، وغرضه فيه أن يفحص هل

حفظ الأصحاء على صحتهم من صناعة الطب، أم هـو من صناعة أصحاب الرياضة وهي المقالة التي أشار فيها إلى ابتداء كتاب تدبير الأصحاء، حين قال أن الصناعة التي تتلو القيام على الأبدان واحدة كما بينت في غير هذا الكتاب.

ولهذا الكتاب ترجمة سريانية أنجزها حنين.

ثم قام حبيش بترجمة هذا الكتاب إلى العربية.

٧٩ ـ **كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة**: هذا الكتـاب مقالـة واحدة صغيرة، يحمد فيها الرياضة بالكرة الصغيرة واللعب بالصولجان ويقدمه على جميع أصناف الرياضة.

ترجمه حنين إلى السريانية، ثم ترجمه حبيش إلى العربية.

٨٠ ـ **تفسير كتاب عهد أبقراط**: مقالة واحدة.

ترجمه حنين إلى السريانية بإضافات وشروح وإيضاح لبعض مواضعه. ثم ترجمه حبيش إلى العربية.

٨١ ـ **تفسير كتاب الفصول لأبقراط**: جعله في سبع مقالات.

ترجمه أيوب الرهاوي ترجمة سيئة للغاية، وفشل جبرائيل بن بختيشوع في إصلاح الترجمة. ثم ترجم منه حنين مقالة واحدة إلى العربية، وبعد ذلك أنجز ترجمة كاملة لكتاب لمحمد بن موسى.

٨٢ ـ **تفسير كتاب الكسر لأبقراط**: جعله في ثلاث مقالات، ترجمه حنين إلى السريانية.

٨٣ ـ **تفسير كتاب رد الخلع لأبقراط**: جعله في أربع مقالات ترجمه حنين إلى السريانية.

٨٤ ـ تفسير كتاب تقدمه المعرفة لأبقراط[1]: جعله من ثلاث مقالات.

ترجمه سرجس إلى السريانية، ثم ترجمه حنين إلى السريانية.

٨٥ ـ تفسير كتاب تدبير الأمراض الحادة لأبقراط: الذي نجده من تفسيره لهذا الكتاب هو ثلاث مقالات، وقال جالينوس في فينكس كتبه أنه فسره في خمس مقالات، وأن هذه الثلاث المقالات الأولى هي تفسير الجزء الصحيح من هذا الكتاب. والمقالتان الباقيتان فيهما تفسير المشكوك فيه.

ذكر حنين أن أيوب ترجمه، ثم ترجمه حنين، وقام عيسى بن يحيى بترجمة ثلاث مقالات منه إلى العربية.

٨٦ ـ تفسير كتاب القروح لأبقراط: جعله في مقالة واحدة.

ترجمه حنين إلى السريانية.

٨٧ ـ تفسير كتاب جراحات الرأس لأبقراط: مقالة واحدة.

ترجمه أيوب الرهاوي إلى السريانية.
ثم ترجمه حنين إلى السريانية أيضاً.

٨٨ ـ تفسير كتاب أبيذيميا لأبقراط: فسر المقالة الأولى منه في ثلاث مقالات، والثانية في ثلاث مقالات، والسادسة في ثمانِ مقالات، هذه التي فسرها، وأما الثلاث الباقية وهي الرابعة والخامسة والسابعة فلم يفسرها، لأنه ذكر أنها مفتعلة على لسان أبقراط.

أما المقالة الأولى فقد ترجمها أيوب الرهاوي إلى السريانية، ثم ترجمها حنين إلى العربية.

وأما المقالة الثانية فقد ترجمها أيوب الرهاوي إلى السريانية، ثم ترجمها حنين إلى العربية.

(١) انظر نشرتنا وتحقيقنا لهذا المخطوط بشرح ابن النفيس (تحت الطبع).

وأما المقالة الثالثة فقد ترجمها حنين إلى السريانية والعربية معاً.

والمقالة السادسة ترجمها أيوب إلى السريانية وترجمها حنين إلى العربية.

٨٩ ـ تفسير كتاب الأخلاط لأبقراط، جعله على ثلاث مقالات.

ترجمها حنين إلى السريانية، ثم ترجمها إلى الحسن أحمد بن موسى عيسى بن يحيى إلى العربية.

٩٠ ـ تفسير كتاب تقدمه الإنذار لأبقراط: وهذا الكتاب لم أجد له نسخة إلى هذه الغاية.

٩١ ـ تفسير كتاب قاطيطريون لأبقراط: جعله في ثلاث مقالات.

ترجمه حنين إلى السريانية، ثم ترجمه حبيش إلى العربية.

٩٢ ـ تفسير كتاب الهواء والماء والمساكن لأبقراط[1]: جعله أيضاً في ثلاث مقالات وقد وجدنا بعض النسخ من هذا التفسير أيضاً في أربع مقالات، إلا أن الأول هو المعتمد عليه. ترجمه حنين إلى السريانية، ثم ترجمه حبيش إلى العربية.

٩٣ ـ تفسير كتاب الغذاء لأبقراط: جعله في أربع مقالات.

ترجمه حنين إلى السريانية.

٩٤ ـ تفسير كتاب طبيعة الجنين لأبقراط:

قال حنين: هذا الكتاب لم نجد له تفسيراً من قول جالينوس، ولا نجد جالينوس ذكر في فهرست كتبه أنه عمل له تفسيراً إلا أنا وجدناه قد قسم هذا الكتاب لثلاثة أجزاء في كتابه الذي عمله في علم أبقراط في التشريح، وذكر أن الجزء الأول والثالث من هذا الكتاب منحول ليس هو لأبقراط، وإنما الصحيح منه الجزء الثاني. وقد فسر هذا الجزء جاسيوس الإسكندراني، وقد

---

(١) وهو كتاب أبقراط المعروف باسم الأهوية والأماكن والبلدان.

وجدنا لجميع الثلاثة الأجزاء تفسيرين أحدهما سرياني موسم بأنه لجالينوس، قد كان ترجمه سرجس، فلما فحصنا عنه علمنا أنه لبالبس والآخر يوناني، فلما فحصنا عنه وجدناه لسورانوس الذي من شيعة المثوذيقيون. وترجم حنين نص هذا الكتاب إلا قليلاً منه إلى العربية في خلافة المعتز بالله.

٩٥ ـ **تفسير كتاب طبيعة الإنسان لأبقراط**: جعله في مقالتين.

٩٦ ـ **كتاب في أن رأي أبقراط من كتاب طبيعة الإنسان**: وفي سائر كتبه واحد جعله من ثلاث مقالات. وقال جالينوس أنه ألفه بعد تفسيره لكتاب طبيعة الإنسان، وذلك عندما بلغه أن قوماً يعيبون ذلك الكتاب ويدعون فيه أنه ليس لأبقراط.

٩٧ ـ **كتاب في أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً**: مقالة واحدة ترجمة أيوب إلى السريانية، ثم ترجمه حنين إلى السريانية، ثم إلى العربية، ثم ترجمه عيسى بن يحيى إلى العربية.

٩٨ ـ **كتاب في كتب أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة**: مقالة واحدة.

٩٩ ـ **كتاب في التجربة الطبيعية**: مقالة واحدة يقتضِ فيها حجج أصحاب التجربة، وأصحاب القياس بعضهم على بعض.

ترجمه حنين إلى السريانية بناءً على طلب بختيشوع.

١٠٠ ـ **كتاب في الحث على تعلم الطب**: مقالة واحدة. وقال حنين، إن كتاب جالينوس هذا نسخ فيه كتاب مينودوطس، وهو كتاب حسن نافع ظريف. ترجمه حنين إلى السريانية لبختيشوع، ثم ترجمه للعربية بناءً على طلب محمد بن موسى.

١٠١ ـ **كتاب في جمل التجربة**: مقالة واحدة.

١٠٢ ـ **كتاب في محنة أفضل الأطباء**: مقالة واحدة.

وقد ترجمه حنين إلى السريانية لبختيشوع، ثم طلب إليه محمد بن موسى ترجمته إلى العربية.

١٠٣ ـ **كتاب في الأسماء الطبية**: وغرضه فيه أن يبيّن أمر الأسماء التي استعملها الأطباء على أي المعاني استعملوها، وجعله خمس مقالات، ويقول ابن أبي أصيبعة والذي وجدناه قد نقل إلى اللغة العربية إنما هي المقالة الأولى التي ترجمها حبيش الأعسم. لكن ترجم حنين بن إسحق المقالات الثلاث الأولى منه إلى السريانية.

١٠٤ ـ كتاب البرهان: هذا الكتاب جعله في خمس عشرة مقالة، وغرضه فيه أن يبين كيف الطريق في تبيين ما يتبين ضرورة، وذلك كان غرض أرسطوطاليس في كتابه الرابع من المنطق. قال حنين: ولم يقع إلى هذه الغاية إلى أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية، على أن جبرائيل قد كان عني بطلبه عناية شديدة، وطلبته أنا أيضاً بغاية الطلب، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها وفلسطين ومصر، إلى أن بلغت الإسكندرية، فلم أجد منه شيئاً إلا بدمشق نحواً من نصفه إلا أنها غير متوالية ولا تامة وقد كان جبرائيل أيضاً وجد منه مقالات ليست كلها المقالات التي وجدت بأعيانها. وترجم له أيوب ما وجد منها، وأما أنا فلم تطب نفسي بترجمة شيء منها إلا باستكمال قراءتها، لما هي عليه من النقصان والاختلال، وللطمع وتشوق النفس إلى وجدان تمام الكتاب. ثم إني ترجمت ما وجدت منه إلى السريانية، وهو جزء يسير من المقالة الثانية، وأكثر المقالة الثالثة ونحواً من نصف المقالة الرابعة من أولها، أو المقالة التاسعة ما خلا شيئاً من أولها فإنه سقط، وأما سائر المقالات الأخر فوجدت إلى آخر الكتاب ما خلا المقالة الخامسة عشرة، فإن في آخرها نقصاناً. وترجم عيسى بن يحيى ما وجد من المقالة الثامنة إلى المقالة الحادية عشرة، وترجم إسحق بن حنين من المقالة الثانية عشرة إلى المقالة الخامسة عشرة إلى العربية.

١٠٥ ـ كتاب الأخلاق: أربع مقالات وغرضه فيه أن يصف الأخلاق وأسبابها ودلائلها ومداواتها.

ويذكر حنين أنه ترجم هذا الكتاب إلى العربية بناءً على طلب محمد ابن موسى. ومن هذه الترجمة العربية أعد حبيش بن الأعسم ترجمة سريانية ليوحنا بن ماسويه.

١٠٦ ـ مقالة في صرف الاغتمام: وهي مقالة واحدة.

ترجم أيوب هذه المقالة إلى السريانية، ثم ترجمها حنين إلى السريانية أيضاً، وإلى العربية ترجمها حبيش لمحمد بن موسى.

١٠٧ ـ كتاب فيما ذكره أفلاطون في كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب: وهو أربع مقالات.

ترجم حنين هذه المقالات الأربع إلى السريانية كاملة، ثم ترجم المقالة الأولى منه إلى العربية، وفيما بعد قام إسحق بن حنين بترجمة المقالات الثلاث المتممة للكتاب إلى العربية.

١٠٨ ـ كتاب في أن قوي النفس تابعة لمزاج البدن: مقالة واحدة، وغرضه فيه بين من عنوانه.

ترجم أيوب هذه المقالة إلى السريانية، ثم ترجمة عربية لمحمد بن موسى.

١٠٩ ـ كتاب جوامع أفلاطون: قال حنين: ووجدت من هذا الفن من الكتب كتاباً آخر فيه أربع مقالات من ثمانِ مقالات لجالينوس فيها جوامع كتب أفلاطون. في المقالة الأولى منها جوامع خمس من كتب أفلاطون، وهي كتاب أقراطليس في الأسماء، وكتاب سوفسطيس في القسمة وكتاب بوليطيوقوس في المدبر، وكتاب برمنيدس في الصور، وكتاب أوثيميس. وفي المقالة الثانية جوامع أربع مقالات من كتاب أفلاطون في السياسة وفي المقالة

الثالثة جوامع الست المقالات الباقية من السياسة، وجوامع الكتاب المعروف بطيماوس في العلم الطبيعي. وفي المقالة الرابعة جمل معاني الاثنتي عشرة مقالة التي في السير لأفلاطون.

١١٠ ـ كتاب في أن المحرك الأول لا يتحرك: مقالة واحدة.

ولهذه المقالة ترجمات متعددة:

١ ـ ترجم حنين هذه المقالة إلى العربية لمحمد بن موسى.
٢ ـ ترجم حنين هذه المقالة أيضاً إلى السريانية.
٣ ـ ترجم عيسى بن يحيى هذه المقالة إلى العربية.

١١١ ـ كتاب المدخل إلى المنطق: مقالة واحدة، يتبين فيها الأشياء التي يحتاج إليها المتعلمون، وينتفعون بها في علم البرهان.

ولهذه المقالة ترجمة سريانية أعدها حنين بن إسحق، وترجمة عربية قام بها حبيش بن الأعسم كطلب محمد بن موسى.

١١٢ ـ مقالة في عدد المقاييس: وهي مقالة واحدة.

ترجمها حنين إلى السريانية.

تلك هي مجموعة الكتابات التي أثبتها حنين بن إسحق، لكن هناك مجموعة أخرى من الكتابات غير صحيحة النسب إلى واضعيها، من القدماء خاصة جالينوس، وقد وجد ابن أصيبعة ضرورة إثباتها في «عيون الأنباء» بتعليقات حنين على بعضها، ويأتي بنصوص حنين التي يقول في أكثرها «والمقالات التي وجدناها موسومة باسم جالينوس، من غير أن يكون فصاحة كلامها شبيهة بمذهب جالينوس في الفصاحة ولا قوة معانيها شبيهة بقوة معاني ما يعتقد هي هذه. . .» وذكر ابن أبي أصيبعة بعد هذا النص خمس وعشرون كتاباً ومقالة منحولة ليست من وضع جالينوس على حد قول حنين. ثم يستطرد ابن أبي أصيبعة بعد ذلك قائلاً: «أقول وهذا جملة ما تهيأ ذكره من كتب

جالينوس الصحيحة والمنحولة إليه، على ما أثبته حنين بن إسحق في كتابه مما قد وجده، وأنه قد نقل إلى العربية. وكان ذكره لذلك وقد أتى عليه من السنين ثمانِ وأربعون سنة، كانت مدة حياته سبعين سنة، فبالضرورة أنه قد وجد أشياء كثيرة أيضاً من كتب جالينوس ونقلت إلى العربية، كما قد وجدنا كثيراً من كتب جالينوس».

كتب جالينوس الستة عشر:

وكان ابن أبي أصيبعة[1] قد أثبت أيضاً الكتب الستة عشر التي لجالينوس وترتيبها على رأي الإسكندرانيين. ومع أن ابن النديم قد أثبت في الفهرست هذه الكتب بدون الإشارة إلى ترتيبها؛ إلا أن ابن أبي أصيبعة قد استحدث ترتيبها نقلاً عن حنين بن إسحق وأبو الحسن علي بن رضوان اللذان نقلا ترتيبهما عن يحيى النحوي. ولذا أثبتها ابن أبي أصيبعة بعد تناوله بالعرض ليحيى النحوي وكتبه، ومتابعاً تصنيف ابن رضوان، رتبها كما يلي:

أولاً ـ المرتبة الأولى:

وتشتمل مجموعة الكتب هنا على أربعة اعتبرت بمثابة مدخل تعليمي يؤهل الطالب إلى التحصيل الجزئي للطب، وفي نفس الوقت تعده للانتقال لتحصيل كتب وعلم المرتبة الثانية. ويذكر ابن أبي أصيبعة هذه الكتب على النحو التالي:

١ ـ **كتاب الفرق:** ويحصل فيه الطالب دراسة الطب على رأي أصحاب التجربة ورأي أصحاب القياس معاً.

٢ ـ **كتاب الصناعة الصغيرة:** ويستفاد منه جمل صناعة الطب كلها النظري والعملي.

٣ ـ **كتاب النبض الكبير:** ويستفاد منه جميع ما يحتاج إليه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الأمراض.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٥٤ ـ ص ١٥٩.

٤ ـ **اغلوقن**: ويستفاد منه كيفية التأني في شفاء الأمراض.

ثانياً ـ المرتبة الثانية:

وتشتمل على أربعة كتب أيضاً:

٥ ـ **كتاب الاسطقسات**: ويستفاد منه أن بدن الإنسان وجميع ما يحتاج إليه سريع التغير قابل للاستحالة. وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال تعليم الطب.

٦ ـ **كتاب المزاج**: ويستفاد منه معرفة أصناف المزاج، وبما يتقوّم كل واحد منها؛ وبماذا يستدل عليه إذا حدث؟.

٧ ـ **كتاب القوى الطبيعية**: يستفاد منه معرفة القوى التي تدبر بها طبيعة البدن وأسبابها، والعلامات التي يستدل بها عليها.

٨ ـ **كتاب التشريح الصغير**: ويستفاد منه معرفة أعضاء البدن المتشابهة وعددها، وجميع ما يحتاج إليه فيها.

إن كتب المرتبة الثانية يستفاد من جميعها الأمور الطبيعية للبدن، والتي قوامه بها. فإذا نظر فيها محب التعليم اشتاقت نفسه إلى النظر في كل ما يتعلق بطبيعة البدن.

ثالثاً ـ المرتبة الثالثة:

وتشتمل على كتاب واحد، وهو كتاب العلل والأعراض. ومع أن جالينوس قد وضع هذا الكتاب في ست مقالات متفرقة؛ إلا أن أهل العلم في الإسكندرية جمعوها وجعلوها في كتاباً واحد، يستفاد منه معرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحادثة عن الأمراض. ومن رأي ابن رضوان وعلماء الإسكندرية أيضاً، أنه إذا وقف الدارس على ما في هذا الكتاب وفهمه لم يخف عليه شيء من صناعة الطب.

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٠٣، وقد نقل ابن القفطي قائمة ابن النديم كما هي تماماً بدون تعديل ص ١٢٩.

رابعاً ـ المرتبة الرابعة:

وتشتمل على كتابين:

١٠ ـ **كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة:** ويستفاد منه تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الأعضاء الباطنة، فإن هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لأنها خفية عن الحس، فيحتاج إلى أن يستدل عليها بعلامات تُقوِّم كل واحدة منها، فإذا ظهرت العلامات المقومة يتقن أن العضو الفلاني عله كذا.

١١ ـ **كتاب النبض الكبير:** وهو ينقسم إلى أربعة أجزاء، كل جزء منه أربع مقالات، حيث يستفاد من الجزء الأول معرفة أصناف النبض وجزئيات كل صنف منها. ومن الثاني، تعريف إدراك كل واحد من أصناف النبض. ومن الثالث، تعريف أسباب النبض. ومن الرابع، تعريف منافع أصناف النبض. وهذا الكتاب ذو فائدة جلية في الاستدلال على الأمراض ومعرفة قواها ونسبتها إلى قوة البدن.

خامساً ـ المرتبة الخامسة:

وتشتمل على ثلاثة كتب:

١٢ ـ **كتاب الحُميّات:** ويستفاد منه معرفة طبائع أصناف الحميات وما يستدل به على كل صنف منها.

١٣ ـ **كتاب البُحْران:** ويستفاد منه معرفة أوقات المرض ليعطي في كل وقت منها ما يوافق فيه، ومعرفة ما يؤول إليه الحال في كلٍ واحد من الأمراض. هل يؤول أمره إلى السلامة أم لا؟ وكيف يكون؟ وبماذا يكون؟.

١٤ ـ **كتاب أيام البُحْران:** ويستفاد منه معرفة أوقات البحران، ومعرفة الأيام التي يكون فيها، وأسباب ذلك وعلاماته.

سادساً ـ المرتبة السادسة:

وتشتمل على:

١٥ - **كتاب حيلة البرء**: ويستفاد منه قوانين العلاج على رأي أصحاب القياس في كل واحدة من الأمراض. وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأدوية المفردة، وفي كتب جالينوس من الأدوية المركبة.

سابعاً المرتبة السابعة:

وتشتمل على:

١٦ - **كتاب تدبير الأصحاء**: ويستفاد منه حفظ صحة كل واحد من الأبدان. وهذا الكتاب إذا نظر فيه الدارس اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأغذية، وفي كتاب في جودة الكيموس ورداءته، وكتاب التدبير الملطف، وشرائط الرياضة. يستنتج من هذا أن الكتب الستة عشر المصنفة على النحو السابق ذكره تدعو الناظر فيها إلى النظر في جميع كتب جالينوس التي استكمل بها صناعة الطب. ومن ثم يكون الإسكندرانيون قد فلحوا في هذا التصنيف بترغيب الدارس للطب والتبحر في صناعته.

ومع أن بعض من نقل عنهم ابن أبي أصيبعة مثل أبو الفرج بن هندو، وأبو الخير بن الخمار، وابن رضوان وغيرهم قد يرون آراء متفاوتة في ترتيب هذه الكتب كأن يرى أبو الخير تقصير الإسكندرانيين في جمعهم للكتب وترتيبهم لها على هذا النحو، وأنه كان يجدر بهم إضافة كتاب الأغذية والأهوية والأدوية، إلا أن ابن هندو لم يرى مثل رأي أستاذه، وإنما ارتضى ترتيب الإسكندرانيين على النحو المذكور، واعتبر أن «خرق إجماع الحكماء معدود من الخرق».

الفصل الخامس

مؤلفات حنين بن إسحق

يذكر ابن النديم في الفهرست[1]: «وله من الكتب التي ألفها سوى ما نقل من كتب القدماء:

١ ـ أحكام الإعراب على مذاهب اليونانيين.
٢ ـ المسائل في الطب للمتعلمين.
٣ ـ الحمـــام.
٤ ـ اللبـــن.
٥ ـ الأغذيـــة.
٦ ـ علاج العين.
٧ ـ تقاسيم علل العين.
٨ ـ اختبار أدوية العين.
٩ ـ علاج أمراض العين بالحديد.
١٠ ـ آلات الغذاء.
١١ ـ الأسنان واللثة.
١٢ ـ البـــاه.
١٣ ـ تدبير الناقه.
١٤ ـ معرفة أوجاع المعدة وعلاجها.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٩٥.

١٥ ـ المد والجزر.
١٦ ـ السبب الذي صارت مياه البحر له مالحة.
١٧ ـ الألـوان.
١٨ ـ البول، وهو على طريق المسألة والجواب.
١٩ ـ المولودين لثمانية أشهر.
٢٠ ـ الترياق.
٢١ ـ العين ـ وهو على طريق المسألة والجواب وهو ثلاث مقالات.
٢٢ ـ ذكر ما ترجم من الكتب.
٢٣ ـ قاطا غورياس على رأس ثامسطيوس.
٢٤ ـ قرص الورد.
٢٥ ـ الفزع وتولده.
٢٦ ـ الآجـال.
٢٧ ـ تولد النار من حجرين.
٢٨ ـ تولّد الحصاة.
٢٩ ـ اختبار الأدوية المحرقة.
٣٠ ـ كتاب ابن المنجم في استخراج كمية كتب جالينوس.

لكن يبدو أن ابن النديم لم يكن بصدد تتبع إسهامات حنين بن إسحق بصورة تامة، ولذا اكتفى بسرد بعض كتاباته الهامة، ولم يعتني بأثرها العلمي رغم قرب العهد به، وهذا ما جعل ابن أبي أصيبعة كعالم وطبيب ومؤرّخ علم وسيرة العلماء يهتم بتتبع المسألة بشيء من التفصيل والدقة في نفس الوقت، فراح ينقب هنا وهناك محاولاً رسم صورة قريبة من الحقيقة لذلك المترجم الفذ الذي لعب دوراً بارزاً في تشكيل حركة الترجمة واتجاهاتها في فترة هامة وحرجة من تاريخ النقل العلمي لم تكن وسائل وأدوات البحث العلمي فيها قد تطورت بعد. فما هي يا ترى تلك الصورة التي يضعها ابن أبي أصيبعة تحت أنظارنا عن حنين؟.

يذكر ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»[1] كتب حنين بن إسحق على النحو التالي:

١ ـ كتـاب المسائـل[2]:

وهو المدخل إلى صناعة الطب، لأنه قد جمع فيه جُملاً وجوامع تجري مجرى المبادىء والأوائل لهذا العلم. لكن كما يقول ابن أبي أصيبعة، فإن حبيش بن الأعسم تلميذ حنين وابن أخته قد أكمل الكتاب، فيذكر ابن أبي أصيبعة أن ابن أبي صادق قال في شرحه: «إن حنيناً جمع معاني هذا الكتاب من طروس ومسودات بيّض منها البعض في مدة حياته». ثم إن حبيش بن الأعسم تلميذه وابن أخته رتّب الباقي بعده، وزاد فيه من عنده زوائد وألحقها بما أثبته حنين في دستوره ولذلك يوجد هذا الكتاب معنوّناً بكتاب المسائل لحنين بزيادات حبيش بن الأعسم. والذي يوجد من النسخ من هذا الكتاب أن زيادات حبيش من عند ذكره أوقات الأمراض الأربعة إلى آخر الكتاب. وقال ابن أبي صادق إن زيادات حبيش إنما هي من الكلام في الترياق، واستدل على ذلك بأنه قال: ثم إن حنين بن إسحق عمل مقالتين شرح فيهما ما قاله جالينوس من الترياق ولو كان قاله حنين لكان يقول ثم إني عملت مقالتين شرحت فيهما كذا كذا.

٢ ـ كتـاب العشر مقالات في العيـن[3]:

«وهذا الكتاب يوجد في نسخة اختلاف كثير، وليست مقالاته على نسق واحد، فإن بعضها توجد مختصرة موجزة في المعنى الذي هي فيه، والبعض الآخر قد يطول فيه وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب. والسبب في ذلك أن كل مقالة منه كانت بمفردها من غير التئام لها مع غيرها، وذلك لأن حنيناً يقول

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٦٠ ـ ص ١٦٥.

(٢) صدرت نشرة لهذا المؤلف بتحقيق الدكتور محمد علي أبو ريان، جلال موسى، مرسي عرب، عن دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٨ ولست أملك نسختها الآن.

(٣) أصدر ماكس مايرهوف نشرة محققة لهذا المؤلف بالعربية والإنجليزية عام ١٩٢٨، القاهرة.

في المقالة الأخيرة من هذا الكتاب أني قد كنت ألفت منذ نيف وثلاثين سنة في العين مقالات مفردة، نحوت فيها إلى أغراض شتى، سألني تأليفها قوم بعد قوم. قال: ثم إن حبيشاً سألني أن أجمع له ذلك، وهو تسع مقالات وأجعله كتاباً واحداً، وأن أضيف له للتسع مقالات الماضية مقالة أخرى أذكر فيها شرح الحال في الأدوية المركبة التي ألفها القدماء، وأثبتوها في كتبهم لعلل العين». ومقالات هذا الكتاب هي:

المقالة الأولى : يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها.
المقالة الثانية : يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعه.
المقالة الثالثة : يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفي نفس الأبصار كيف يكون.
المقالة الرابعة : يذكر فيها جمل الأشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها.
المقالة الخامسة : يذكر فيها أسباب الأعراض الكائنة في العين.
المقالة السادسة : من علامات الأمراض التي تحدث في العين.
المقالة السابعة : يذكر فيها قوى جميع الأدوية عامة.
المقالة الثامنة : يذكر فيها أجناس الأدوية للعين خاصة وأنواعها.
المقالة التاسعة : يذكر فيها مداواة أمراض العين.
المقالة العاشرة : في الأدوية المركبة الموافقة لعلل العين.

ووجدت مقالة أخرى حادية عشر لحنين مضافة إلى هذا الكتاب، يذكر فيها علاج الأمراض التي تعرض في العين بالحديد.

٣ ـ كتاب في العين:

على طريق المسألة والجواب، ثلاث مقالات، ألفه لولديه داود وإسحق، وهو مائتان وتسع مسائل.

٤ ـ اختصار الستة عشر كتاباً لجالينوس:

على طريق المسألة والجواب اختصره أيضاً لولديه.

٥ ـ كتـاب التريـاق:
وهـو مقالتـان.

٦ ـ اختصار كتاب جالينوس في الأدوية المفردة:
وهو إحدى عشر مقالة اختصره بالسرياني.

٧ ـ مقالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم، وقد كتبها إلى علي بن يحيى المنجم.
٨ ـ مقالة في ثبت الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه، ووصف فيها جميع ما وجد لجالينوس من الكتب التي لا شك أنها له، وقال: إن جالينوس يكون صنفها بعد وضعه الفهرست.
٩ ـ مقالة في اعتذاره لجالينوس فيما قاله من المقالة السابعة من كتاب آراء أبقراط، وأفلاطون.
١٠ ـ مقالة جالينوس في أصناف اللفظ الخارج عن الطبيعة على طريق المسألة والجواب.
١١ ـ جوامع كتاب جالينوس في الذبول على طريق المسألة والجواب.
١٢ ـ جوامع كتاب جالينوس في أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً على طريق المسألة والجواب.
١٣ ـ جوامع كتاب جالينوس في كتب أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة.
٢٤ ـ جوامع كتاب جالينوس في الحث على تعلم الطب على طريقة المسألة والجواب.
١٥ ـ جوامع كتاب المني لجالينوس على طريق المسألة والجواب.
١٦ ـ ثمار تفسير جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط على طريق المسـألة والجواب، وهو سبع مقالات، وكان تأليفه له بالسرياني، ثم نقل منه إلى العربي المقالات الأربعة الأولى ثم قام عيسى بن صهر بخت بنقل الثلاث مقالات الأخرى إلى اللسان العربي.
١٧ ـ رسالة في قرص العود.

١٨ ـ رسالة إلى الطيفوري في قرص الورد.

١٩ ـ كتاب إلى المعتمد فيما سأله عنه في الفرق بين الغذاء والدواء المسهل، وهو ثلاث مقالات.

٢٠ ـ كتاب قوى الأغذية، وهو ثلاث مقالات.

٢١ ـ كتاب في كيفية إدراك الديانة.

٢٢ ـ مسائل استخرجها من كتب المنطق الأربعة.

٢٣ ـ مقالة في الدلائل، وصف فيها أبواب من الدلائل التي نستدل بها على معرفة كل واحد من الأمراض.

٢٤ ـ كتاب في النبض.

٢٥ ـ كتاب في الحميات.

٢٦ ـ كتاب في البول مستخرج من كلام أبقراط وجالينوس.

٢٧ ـ كتاب في معرفة أوجاع المعدة وعلاجها، وهو مقالتان.

٢٨ ـ كتاب في حالات الأعضاء.

٢٩ ـ مقالة في البقول.

٣٠ ـ كتاب في اليبس.

٣١ ـ كتاب في حفظ الأسنان واللثة.

٣٢ ـ كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر على طريق المسألة والجواب وقد ألفه لأم ولد المتوكل.

٣٣ ـ كتاب في امتحان الأطباء.

٣٤ ـ كتاب في طبائع الأغذية وتدبير الأبدان.

٣٥ ـ كتاب في أسماء الأدوية المفردة على حروف المعجم.

٣٦ ـ كتاب في تسمية الأعضاء على ما رتبها جالينوس.

٣٧ ـ كتاب في تركيبة العين.

٣٨ ـ مقالة في المد والجزر.

٣٩ ـ كتاب في أفعال الشمس والقمر.

٤٠ ـ كتاب في تدبير السوداويين.

٤١ ـ كتاب في تدبير الأصحاء بالمطعم والمشرب.
٤٢ ـ كتاب في اللبن.
٤٣ ـ كتاب في تدبير المستسقين.
٤٤ ـ كتاب في أسرار الأدوية المركبة.
٤٥ ـ كتاب في أسرار الفلاسفة.
٤٦ ـ جوامع كتاب السماء والعالم.
٤٧ ـ كتاب في النحو.
٤٨ ـ مقالة في خلق الإنسان وأنه من صلحته، والتفضل عليه جعله محتاجاً.
٤٩ ـ كتاب فيما يقرأ قبل كتب أفلاطن.
٥٠ ـ مقالة في تولد النار من الحجرين.
٥١ ـ كتاب الفوائد.
٥٢ ـ مقالة في الحمام.
٥٣ ـ مقالة الآجال.
٥٤ ـ مقالة في الدغدغة.
٥٥ ـ مقالة في ضيق النفس.
٥٦ ـ كتاب في اختلاف الطعوم.
٥٧ ـ كتاب في تشريح آلات الغذاء.
٥٨ ـ كتاب النفخ لأبقراط.
٥٩ ـ تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس.
٦٠ ـ تفسير كتاب الأدوية المكتوبة لجالينوس. حيث يبين فيه شرح ما ذكره جالينوس من كل واحد من الأدوية.
٦١ ـ رسالة في دلالة القدر على التوحيد.
٦٢ ـ رسالة إلى سلموية ابن بنان عما سأله من ترجمة مقالة جالينوس في العادات.
٦٣ ـ كتاب في أحكام الإعراب على مذهب اليونانيين.

٦٤ ـ مقالتان: مقالة في السبب الذي من أجله صارت مياه البحر مالحة، مقالة في الألوان.
٦٥ ـ كتاب قاطيغورياس على رأي تامسطيوس.
٦٦ ـ مقالة في تولد الحصاة.
٦٧ ـ مقالة في اختبار الأدوية المحرقة.
٦٨ ـ كتاب في مياه الحمات على طريق المسألة والجواب.
٦٩ ـ كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء.
٧٠ ـ كتاب اختصره من كتاب بولس.
٧١ ـ مقالة في تقاسيم علل العين.
٧٢ ـ كتاب اختبار أدوية علل العين.
٧٣ ـ مقالة في الصرع.
٧٤ ـ كتاب الفلاحة.
٧٥ ـ مقالة في التركيب مما وافق عليه الفاضلان أبقراط وجالينوس.
٧٦ ـ مقالة تتعلق بحفظ الصحة وغيرها.
٧٧ ـ كلام في الآثار العلوية.
٧٨ ـ مقالة في قوس قزح.
٧٩ ـ كتاب تاريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم والخلفاء والملوك في الإسلام، وابتدأ فيه من آدم ومن أتى من بعده، وذكر ملوك بني إسرائيل وملوك اليونانيين والروم، وذكر ابتداء الإسلام وملوك بني أمية وملوك بني هاشم إلى الوقت الذي كان فيه حنين بن إسحق، وهو زمان المتوكل على الله.
٨٠ ـ في بعض شكوك جاسيوس الإسكندراني على كتاب الأعضاء الألمة لجالينوس.
٨١ ـ رسالة فيما أصابه من المحن والشدائد.
٨٢ ـ كتاب إلى علي بن يحيى جواب كتابه فيما دعاه إليه من دين الإسلام.

٨٣ ـ جوامع ما في المقالة الأولى والثانية والثالثة من كتاب أبيديميا لأبقراط على طريق المسألة والجواب.

٨٤ ـ مقالة في كون الجنين مما جمع من أقاويل جالينوس وأبقراط.

٨٥ ـ جوامع تفسير القدماء اليونانيين لكتاب فرفوريوس المعروف بالمدخل، وينبغي أن يقرأ قبل كتاب فرفوريوس شرح كتاب الفراسة لأرسطاطاليس.

٨٦ ـ كتاب دفع مضار الأغذية.

٨٧ ـ كتاب الزينة.

٨٨ ـ كتاب خواص الأحجار.

٨٩ ـ كتاب البيطرة.

٩٠ ـ كتاب حفظ الأسنان.

٩١ ـ كتاب في إدراك حقيقة الأديان.

الفصل السادس

طريقة حنين وأسلوبه

كان حنين بن إسحق يبحث دائماً عن الأجود في عمله العلمي، وكان يراجع نقولاته السابقة والتي ترجمت في صدر شبابه، وكذا ترجمات تلامذته، وفق منهج علمي دقيق ثابت، ليرسي بذلك القواعد العلمية لمدرسته، وليحتذي تلامذته من بعده بأسلوبه وطريقته. ولدينا بعض النصوص الهامة التي خلّفها حنين في رسالته إلى علي بن يحيى يؤكد فيها على أسلوبه، ولذا سوف نعرض هذه النصوص، ثم نناقش آراء من تناولوا أسلوب حنين وفقاً لها.

١ - حين تحدث حنين عن كتاب جالينوس في الفرق ذكر: «وقد كان ترجمه قبلي إلى السرياني رجل يقال له ابن سهدا من أهل الكرخ، وكان ضعيفاً في الترجمة، ثم أني ترجمته وأنا حَدَثٌ من أبناء عشرين سنة أو أكثر قليلاً لمتطبب من أهل جند يسابور يقال له شيريشوع بن قطرب من نسخة يونانية كثيرة الأسقاط، ثم سألني بعد ذلك وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها حبيش تلميذي إصلاحه بعد أن كانت قد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك بعضها ببعض حتى صحت منها نسخة واحدة ثم قابلت بتلك النسخة السرياني وصححته وكذلك من عادتي أن أفعل في جميع ما أترجمه»[١].

(١) رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى، نشرة عبد الرحمن بدوي، ص ١٥١.

٢ ـ ومن معرض حديثه عن كتاب جالينوس في القوى الطبيعية يقول: «وقد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية سرجس ترجمة سوء ثم ترجمته أنا إلى السريانية وأنا غلام قد أتت عليّ سبع عشرة سنة أو نحوها لجبريل بن بختيشوع ولم أكن ترجمت قبله إلا كتاباً واحداً سأذكره بعدُ وترجمته من نسخة يونانية فيها إسقاط، ثم إني تصفحته إذا أحسنت فوقعت منه على إسقاط آخر فأصلحتها وأحببت إعلامك ذلك لكيما إن وجدت لهذا الكتاب من ترجمتي نسخاً مختلفة عرفت السبب في ذلك»[1].

٣ ـ وعن كتاب تَعرُّف علل الأعضاء الباطنة، يقول: «وقد كان بختيشوع بن جبريل سألني تصفحه وإصلاح إسقاطه ففعلت بعد أن أعلمته أن ترجمته أجود وأسهل فلم يقف الناسخ على تخلّص المواضع التي أصلحتها فيه وتخلص كل واحد من تلك المواضع بقدر قوته فبقي الكتاب غير تام الاستقامة والصحة إلى أن كانت أيامنا هذه وكنت لا أزال أُهِمّ بإعادة ترجمته»[2].

٤ ـ وعن كتاب حيلة البرء لجالينوس؛ يقول إن سلمويه أراد أن يصلح الترجمة «فقابلني ببعض المقالة السابعة ومعه السرياني ومعي اليوناني وهو يقرأ على السريانية وكنت كلما مر بي شيء مخالف لليوناني خبرته به فجعل يصلح حتى كبر عليه الأمر وتبين له أن الترجمة من الرأس أرخى وأبلغ وأن الأمر يكون فيها أشد انتظاماً»[3]. ثم يتابع كلامه قائلاً: «وكانت عندي للثماني المقالات الأخيرة منه عدة نسخ باليونانية فقابلت بها وصححت منها نسخة وترجمتها بعناية ما أمكنني من الاستقصاء والبلاغة فأما الست المقالات الأول فلم أكن وقعت لها إلا على نسخة واحدة وكانت مع ذلك نسخة كثيرة الخطأ فلم يمكني لذلك تخلص تلك

(١) المرجع السابق، ص ١٥٤.
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٥.
(٣) المرجع السابق، ص ١٥٨.

المقالات على غاية ما ينبغي. ثم إني وقعت على نسخة أخرى فقابلت بها وأصلحت ما أمكنني إصلاحه وأخلو إلى أني أقابل به ثالثه إن اتفقت لي نسخة ثالثة فإن نسخ هذا الكتاب باليونانية قليلة»[١].

٥ ـ وعن كتاب جالينوس في العروق الضوارب، يقول: «وقد كنت ترجمته وأنا غلام إلى السريانية لجبريل إلا أني لم أثق بصحته لأن نسخته كانت واحدة كثيرة الخطأ»[٢].

٦ ـ وعن كتاب جالينوس في الامتلاء، يقول: «ووقد ترجمته منذ قريب لبختيشوع على نحو ما من عادتي أن أستعمله في الترجمة من الكلام»[٣].

٧ ـ وعن كتاب جالينوس في قوى الأغذية، يقول: «وقد كان ترجمة سرجس ثم أيوب وترجمته أنا لسلمويه في المتقدم من نسخة لم تكن صحيحة ثم إني من بعد هممت بنسخة لولدي وكانت قد اجتمعت له عندي باليونانية عدة نسخ فقابلت به وصححته وأخرجت جملة بالسريانية»[٤].

إن هذه النصوص القليلة التي أمكن استخلاصها من رسالة حنين بن إسحق، تؤلف أساساً، لا بأس به، مع أقوال وتحقيقات بعض المستشرقين والباحثين العرب حول طريقة حنين، أو إن صح التعبير «المنهج العلمي لدى حنين في الترجمة». وفي هذا الصدد نلاحظ أن المستشرق الألماني برجستراسر Bergstrasser وفرانز روزنتال Ronsenthal وكذلك ماكس مايرهوف[٥] Meyerhof، يدفعون بمجموعة من الآراء حول منهج حنين وطريقته في مقابلة المخطوطات أو النسخ بعضها ببعض. ففي فقرتين

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٨ ـ ص ١٥٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٣.
(٣) المرجع السابق، ص ١٦٦.
(٤) المرجع السابق، ص ١٦٩.
(٥) Meyerhof, M., New Lights on **Hunain b. Ishâq, Isis**, vol. VIII, 1926, pp. 685, 724.

متتاليتين يذكرهما برجستراسر عن حنين يرى أنه لم تكن له ثمة طريقة خاصة به، وإنما كانت طريقته اتباعاً دقيقاً لتقاليد وتعاليم المدرسة السريانية في الترجمة، يقول برجستراسر في الفقرة الأولى «ونحن نرى في تقاليد المدرسة اليونانية ـ السريانية، أمثلة كافية للوقوف على طريقة مقابلة المخطوطات. فقد كان معروفاً عند هذه المدرسة، أن مقابلة المخطوطات المختلفة لكتاب ما، هي الوسيلة الوحيدة لإقامة نص موثوق به. وكان الغرض من استعارة الكتب بين علماء السريان هو قراءتها ونسخها ومقابلتها»[1]. ثم نجد برجستراسر في فقرة أخرى ليست بعيدة عن هذا الموضع يقول: «وكانت المدرسة اليونانية ـ السريانية تدرك تماماً فائدة مقابلة المخطوطات، ونحن نعرف أن حنيناً قد استخدم قواعد المقابلة في عمله، ولكنها لم تكن من ابتداعه شخصياً. وهو حينما سماها (عادته شخصياً) كان يعني أنه التزم تطبيق قواعد أكثر مما التزمها من سبقوه. ويخبرنا حنين عن الطريقة التي كان يستخدمها في المقابلة عند حديثه عن الترجمة السريانية لكتاب من كتب جالينوس بقوله: (سبق أن أوردنا النص). . . . . وكان حنين معنياً بفن المقابلة لتطبيقه في أدب الترجمة، ولم يكن للمقاييس التي استخدمها ما يناظرها أو يفوقها في الأدب العربي المتأخر»[2].

ويتفق روزنتال في الرأي مع برجستراسر، ويعتقد أنه اكتشف الطابع المميّز لأسلوب حنين في الترجمة، ويعتقد أيضاً أن الأسلوب الذي كان يتبعه حنين في الترجمة برتابة ودقة هو أحد التقاليد الرئيسية للمدرسة السريانية ـ الإغريقية في الترجمة، وأن هذا الأسلوب لم يكن من ابتداع حنين، وفي هذا الصدد يقول روزنتال: «ونحن لا نظن أن طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها كانت من ابتكاره، بل يجب أن يكون قد اقتبسها عن التقليد الذي كان معروفاً في حلقات الترجمة السريانية ـ

---

(١) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص ٩٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٩٤.

اليونانية»[١]. ويقرر في فقرة أخرى: «نعم إن حنين عندما يتكلم عن أسلوبه في مقابلة مخطوطة بأخرى للتثبت من صحة المتن إنما يتكلم عن حقل خاص هو حقل الترجمة من لغة إلى أخرى. ولا شك أيضاً أن المستوى العلمي الذي كان يعمل عليه لم يصل إليه المشتغلون بالأدب العربي فيما بعد ولا فاقوه من حيث الجودة والأمانة»[٢].

والواقع أن هذه النصوص وغيرها تكشف عن تمكن حنين بن إسحق من ذلك الحقل الذي أخذ على عاتقه مهمة إرساء قواعده، وهو حقل الترجمة. ومع أن الترجمات من اليونانية أو السريانية إلى العربية كثرت في عهد حنين، وأوضح دليل على هذا كتب التراث القديمة وما سجلته من مؤشرات على ازدياد الروح العلمية في هذا العصر، إلا أن ترجمات حنين على وجه الدقة فاقت غيرها وجذبت اهتمام المشتغلين بدراسة التراث، فقد وجد برجستراسر نتيجة لبحثه في مؤلفات حنين ما يمكنه من أن يختص تراجم حنين بالثناء دون غيرها لأن «تراجم حنين أفضل ودقتها أعظم. ومع ذلك فإن الإنسان يخيل إليه أنها ليست نتيجة مجهود صادق ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغة وحسن تصرف في مذاهبها، ويتجلى ذلك في سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المتناهية في التعبير والإيجاز»[٣]، وتلك سمة أساسية من سمات أسلوب حنين وطريقته التي أرست قواعد العمل في بيت الحكمة بصفة خاصة، وحقل الترجمة والنقل بصفة عامة. ولا شك أن تلامذة حنين وزملائه الذين عملوا معه في بيت الحكمة فرض عليهم الالتزام التام بتلك القواعد،

---

(١) فرانز روزنتال، مناهج العلماء المسلمين، ص ٧٢، وكذلك:
Rosenthal, F., **The Classical Heritage In Islam**, London, Routledge and Kegan Paul, 1975, p. 17ff.

(٢) فرانز روزنتال، مناهج العلماء المسلمين، ص ٧٣.

(٣) Bergstraesser, **Hunain Ibn Ishak Und Seine Schule**, Leiden, 1913, p. 28.
والنص نقلاً عن مايرهوف، مقدمة العشر مقالات في العين، الترجمة العربية ص ٣٠، المقدمة الإنجليزية p. XXV.

خاصة وأن الأستاذ حنين كان يراجع كل ما ينجزه الآخـرون، ومراجعته تلك تعد بمثابة صك اعتماد إنجاز هذا المترجم أو ذاك.

إلا أن السؤال الهام الذي يتبادر إلى الذهن هو: ألم يذكر مؤرخو التراث سمات أسلوب حنين وطريقته؟ وإذا كانت الإجابة بالإثبات، فهل تكشف عن منهج معين لحنين في حركة العلمية، إن في الترجمة أو التأليف؟ وإن كانت الإجابة تؤكد هذا الافتراض، فما هي معالم هذا المنهج وخطواته، والطريقة التي وفقاً لها سايرت حركة الترجمة الدفع العلمي في عصر كان المسلمون فيه عطشى يتطلعون إلى معرفة علمية تواكب معرفتهم الدينية؟.

الإجابة على التساؤلات المطروحة تكشف لنا بلا ريب أن حركـة الترجمة العلمية، في عصر حنين بن إسحق، كانت تسير وفق أصول وقواعد، إن الجهد العلمي الذي بذله حنين في إرساء قواعد المنهج في تحقيق مخطوطات التراث يكافىء ما نقله من التراث اليوناني، وما دوّنه بالعربية والسريانية معاً. وهذان معاً يشكلان أكثر العمل العلمي الذي تم إنجازه بصورة رسمية أو شبه رسمية في القرن الثالث الهجري.

حقيقة دوّن ابن أبي أصيبعة أشياء كثيرة عن حنين بن إسحق وحفظ أكثر ما خلفه هذا العبقري من تراث؛ إلا أن النصوص التي خلفها ابن أبي أصيبعة وأودعها مؤلفه عُيون الأنباء، رغم المآخذ الفنية التي نأخذها على ابن أبي أصيبعة، تقدم لنا مادة يعوزها النقد والتركيب، وإذا كنا نتطلع لمعرفة ما هو جديد، فإنه يجب علينا أن نعمل ملكة النقد والتحليل والتركيب في المادة الموجودة بين دفتي الكتاب، لكن هذا على أية حال لن يغني عن نص هام قدمه لنا مؤلف كتاب «الغيث المسجم في شرح لامية العجم»، الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى في القرن الثامن الهجري (٧٦٤ هـ) حيث يقول في لغة بليغة تستخدم أسلوب التحليل والنقد معاً: «وللتراجمة في النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمةٍ مفردةٍ من الكلمات اليونانية

وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني: أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات. الطريق الثاني: في التعريب طريق حنين بن إسحق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها. وهذه الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيّماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والإلّهي فإن الذي عربه منها لم يحتج إلى إصلاح»[1].

إننا إذا أجرينا تحليلاً داخلياً نقدياً لهذا النص بالإضافة إلى النصوص الأخرى التي قدمها روزنتال وبرجستراسر ومايرهوف وغيرهم، أمكننا أن نصل لمميزات الطريقة الحنينية في العمل الذي أنجز في القرن الثالث الهجري.

خصائص طريقة حنيـن:

١ - يقول قنواتي[2]: كان حنين بن إسحق حريصاً على تأدية المعنى بدقة، فاهماً تماماً مقتضيات النشر العلمي ووجوب الرجوع إلى أحسن المخطوطات، كما أن ترجمته بصفة عامة امتازت برصانة الأسلوب العربي.

(١) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الغيث المسجم في شرح لامية المعجم، ص ٧٩.
(٢) قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير، ص ١٢١، ص ١٢٢.

٢ ـ أما ماكس مايرهوف[١] فقد أشار في مقالته عن «العلوم والطب» أن المخطوطات العديدة التي لحنين بن إسحق، ولا زالت موجود بمكتبات القسطنطينية مثلاً ولم تحقق حتى الآن، تكشف عن حرية في تصريف الترجمة ومقدرة عجيبة للمترجم في اللغة العربية. أما أسلوبها فسهل المتناول خالٍ من التعقيد إذا ما قورن بأصله اليوناني، مع دقة في التعبير وخلو من الحشو والركاكة. إن تفوق حنين، الواسع الاطلاع، والشخصية الرئيسية في عصر المترجمين، كان سبباً لصيرورته مثلاً يحتذيه المترجمون الصغار، حتى أنهم كثيراً ما صاروا ينسبون إلى أستاذهم ما يترجمونه. وتشير تآليفه الكثيرة العدد وشروحاته وتعليقاته على آراء جالينوس، أنه أخرج كتبه على هيئة كتب دراسة لتلاميذه.

٣ ـ يشير تحليلنا لنصوص حنين المتعددة، وقد عايشناها لوقت طويل، أن مترجمنا هذا كان يحترم النص الأصلي من حيث المضمون، وفي كثير من الأحيان كان يلتزم بالشكل أيضاً. وهذا يعني أنه يتميز بعمق النظرة وصحة الاستدلال، وإصابة الفكرة، فضلاً عن التعبير الأنيق والتنغيم العذب. وكان يوفي الفكرة حقها، وفي كثير من الأحيان كان يترجم كل كلمة وردت في الأصل، ولا يتسرع في اعتبار هذه الكلمة أو تلك حشو أو تزيد. وقد برهن أن على المترجم أن يقاوم ميله إلى الاختصار مضحياً بجملة هناك وكلمة هنا. ومن حيث أدوات الربط وجدناه في كثير من كتبه يميز بين الواو والفاء، وبين الفاء وثم، وحروف الجر ومعانيها لأنها مع الفعل والوصل أساس البلاغة. وقد كان الرجل فطناً إلى الصعوبات المتضمنة في كل هذه العملية، لأنه قد يصبح من العسير في كثير من الحالات نقل الصور الخيالية والأقوال الدارجة والكلمات المأثورة ووجوه البلاغة الأخرى، من لغة إلى أخرى؛ وربما يكون السبب الحقيقي في

---

(١) ماكس مايرهوف، العلوم والطب، مقالة في تراث الإسلام، ص ٤٥٤ ـ ص ٤٥٦.

هذا أن لكل لغة رصيدها واختلافاتها، وتباين نظرة الناطقين بها إلى الكون والأشياء.

٤ ـ تثبت لنا دراسة نصوص حنين ضرورة أن يجيء النقل موافقاً لروح اللغة المنقول إليها ولتقاليدها وقواعدها، وهذا يتطلب معرفة جيدة بنحو هذه اللغة وتلك وطريقتهما في التعبير، كما يتطلب ذخيرة من المفردات لا بد منها. وقد توفر كل هذا لحنين بن إسحق الذي أمسك بناصية لغات أربع بين بنانه.

٥ ـ ومن النصوص المتعددة التي بين يدينا يشير حنين إلى ضرورة أن يقوم المترجم ـ بعد إنجاز ترجمته ـ بإعادة قراءة النص المترجم بمعزل عن الأصل، وأن يعمل جاهداً على التخلص من الرواسب التي تولدت لديه أثناء عملية الترجمة، ويضع نفسه مكان القارىء الذي لا يعرف النص الأصلي ولا اللغة التي ترجم منها، حتى يمكنه أن يكتشف ما قد يكون وقع فيه من أغلاط.

٦ ـ لقد اعتمد حنين ومدرسته منهجاً علمياً يجمع عدة مخطوطات للأصل الواحد، ومقارنتها ببعضها، وتحقيق النصوص الواردة فيها، ثم نقلها وترجمتها إلى السرياني أو العربي.

ويتفق كل ما ذكرناه من الخصائص مع ما يراه روزنتال من شروط يجب أن تتوافر في المترجم حتى تجيء ترجمته جيدة. ومن بين أهم هذه الشروط أن يكون المترجم ثقة، حسن الاطلاع في اللغة المترجم منها والمترجم إليها، مُلِمّاً بالموضوع الذي يترجمه، ويجب أن يكون أسلوبه في الترجمة قريباً من أسلوب المؤلف الأصلي، ولا ينبغي أن يكون أقل منه في المرتبة.

٧ ـ وفي سطور قليلة أشار محمد كامل حسين[1] إلى أن ترجمات حنين

---

(١) محمد كامل حسين، «في الطب والأقرباذين»، ص ٢٧٥.

اتسمت بكثير من «الذكاء والعلم» مما يدل على أنه كان يفهم مادة ما يترجم. كما كان عليه أن يترجم المصطلحات العلمية، ولم يعجزه ذلك فكان يختار الكلمات العربية للمصطلحات التي لا يتم فهمها بغير تفهم معناها. وقد استطاع أن يبقي اللغة العربية بعيدة عن اللغة العامية، وهذا ما جعله المرجع الأكبر للمترجمين جميعاً، وكان إقراره لترجمة كتاب ما خير دليل على صواب الترجمة.

٨ ـ كثيراً ما كان حنين يصف بعض ترجمات الآخرين بأنها «رديئة»، ويقوم بإعادة الترجمة مرة أخرى، وهذا ما فعله في كثير من الأحيان في بعض مترجماته التي نقلها في صدر شبابه، فهل هذا يعني أن تلك الترجمات كانت رديئة فعلاً؟ لدينا افتراضان: الأول، إما أن تكون الترجمة الموصوفة رديئة فعلاً، وفي هذه الحالة كان لا بد لمترجمون آخرون أن يفطنوا إلى هذا الأمر، وهذا ما لم يحدث، وظلت تلك الترجمات معمولاً بها، يدرس عليها الطلاب، كما هو الحال في الكتب التي كانت تدرس بالإسكندرية ونقلت إلى السريانية، لقد وصف حنين بعضها بأنها «رديئة». والافتراض الثاني أن يكون مستوى حنين في الترجمة رفيعاً وعالياً إلى درجة كبيرة جداً بحيث كان ينظر إلى هذه الترجمات على أنها ليست دقيقة، أو أنها ليست جيدة، أو بتعبيره هو «ترجمات رديئة». ومن جانبنا نرجح هذا الافتراض. لكن ينبغي أن نشير إلى أن حنين بن إسحق أشار إلى هذه المسألة في مرحلة متأخرة، وليس في صدر شبابه. ومن ثم ينطبق على ترجماته من صدر شبابه المقولة التي تصدق على الافتراض الأول، والدليل على حجية هذا التصور الإشارات المتعددة التي أوردها حنين في كتابه إلى علي بن يحيى ويذكر فيها «لما اكتملت لي العدّة» أي بعد أن تمكن في الترجمة، وأصبح قيماً فيها، متمرساً عليها، يعرف الإجراء المتبع حين ينقل من لغة إلى أخرى.

تلك هي أهم المعالم والخصائص التي تميّز طريقة حنين بن إسحق

بصفة خاصة، ومدرسته بصفة عامة. فقد سار أتباعه وتلامذته على نهجه بكل دقة، يرجعون إليه ليصحح أو يراجع، أو يشرح ويفسر. كل هذا شكل الروح العلمية التي سادت عصر الترجمة الحقيقي الذي تصدره حنين بن إسحق. وربما كان فرانز روزنتال على حق حين زعم أن من أتوا بعد هذا العصر لم يمتلكوا ناصية العلم تماماً ذلك «أن الممثلين الحقيقيين للفلسفة اليونانية بين المسلمين في القرنين التاسع والعاشر وهم الكندي (ت ٨٧٠ م)، والسرخسي تلميذه (+ ٨٩٩)، والفارابي (+ ٩٥٠)، وأبو سليمان المنطقي السجستاني (+ ٩٨٥)، والعمري وكل من تلاهم لا كانوا يعرفون السريانية ولا اليونانية»[١]، تلك الميزة التي توفرت للرعيل الأول الذي اضطلع بمهمة شاقة حين نقل وحقق، وقارن ونقد، وشرح وفسر، بناءً على معرفة تامة باللغة غريبها وذائعها، وهذا ما أدى إلى تطور العلم بصورة طيبة في هذا العصر.

---

(١) Rosenthal, F., «State and Religion According to Abu I-Hasan Al-'Amir', **Islamic quarterly**, III, 1956, p. 45.

الفصل السابع

مدرسة حنين بن إسحق

إن أهم ما يميّز الأستاذ، العالم، المفكر، أن تستمر أفكاره وتعيش عبر الأجيال، وأن يحملها الأتباع المخلصون الـذين يقدّرونهـا حق قدرهـا، ويعملون بها لتكون نبراساً للأجيال. تلك سمة أساسية من سمات المفكرين، وهي لا تتكامل ولا تتحقق إلا إذا تكونت حلقة دَرْسٍ حول الأستاذ، تأخذ عنه، وتنقل للآخرين. والجامعات في عصرنا هذا تقوم على هذا الأسلوب، رغم ما حدث من تطور فكري، نظري وعملي، في وسائل الاتصال بين الأجيال وبعضها عبر القرون.

لقد عمل حنين بن إسحق على إرساء قواعد علمية ثابتة ومكينة يمكن بفضلها أن ينتقل العمل العلمي الجاد إلى الآخرين، فكان أن التف حوله الأتباع الذين عملوا معه، وأنس بهم، وأكملوا مسيرته من بعده. عمل مترجماً في عصر المأمون لكتب الأوائل، وكلف بإصلاح ترجمات غيره من النقلة الذين عملوا في «بيت الحكمة»، أكاديمية العلماء في ذلك الوقت، فأخذ ينقل الكتب لكل طالب، وينقح ما ينقله الأتباع والنقلة الذين وجدوا المتسع في «بيت الحكمة» لإظهار مواهبهم العلمية والفكرية، وكان التسابق بينهم في الجودة عنواناً للدقة والاتقان، فضلاً عن حلاوة الأسلوب، وفصاحة اللغة، ورصانة العبارة، وتجانس التركيب، وكانت يد الأستاذ تمتد إلى أعمالهم المتقنة الحلوة لتزيدها حلاوة وتهذيباً، وتنقلها في ثوب قشيب إلى القارىء.

ولا عجب! فإن الترجمات التي امتدت إليها يدي حنين، وأعمل فيها قلمه، ظلت خالدة، وجعلت الناس يقبلون عليها، ويدرسون ما بها، ويشيرون، هنا وهناك، بالثناء على ذلك المترجم الفذ النابغة الذي نقل إليهم، وتلامذته، فكر القدماء، في أجمل أسلوب وأحلى عبارة.

والذي لا شك فيه أن الأتباع الذين عملوا مع حنين بن إسحق في «بيت الحكمة» شكلوا مدرسة ذات طابع مميز. والمدرسة هنا نشأت داخل العمل الذي ترأسه حنين، والذي انبثق عن الدولة أصلاً. وربما جاءت الإشارات التي أوردتها الكتابات المختلفة لتؤكد أن قوام التلاميذ الذين التفوا حول الأستاذ وعملوا معه يتراوح عددهم بين التسعين والمائة. ويمكننا أن نحصل من بين الكتابات المختلفة والمتناثرة هنا وهناك على قائمة غير كاملة بعدد هؤلاء التلاميذ. لكن الذي لا يدانيه شك أن كتب التراث حفظت لنا، أسماء بعض هؤلاء الأعلام، وأشارت إلى أعمالهم، بل لدينا في كثير من الحالات مخطوطات ومؤلفات، ترجمها ودوّنها هؤلاء الأتباع.. وفي المقالة التي دوّنها ماكس مايرهوف في «تراث الإسلام» عن العلوم والطب، يذكر أنه: «كان لحنين بن إسحق أنداد كثيرون يصح أن نسميهم بالمترجمين العظام فضلاً عن حوالي تسعين تلميذاً من تلاميذه اضطلعوا بعمل كهذا ولكنه يقل عنه أهمية»[1]. هل يمكن لنا إذن أن نقف على الأعلام الذين عملوا مع هذا الأستاذ، واقتدوا بطريقته؟.

١ - حُبَيْش بن الحسن الأعسم:

حبيش هذا ابن أخت حنين بن إسحق، وكان أكثر تلامذته ولاءً له، وأشدهم قرباً منه، عمل معه طوال حياته، يتبادل معه الأفكار، ويسأله ترجمة هذا الكتاب أو مراجعة ذاك، وكان حنين يجيبه إلى ما يسأل. كتب عنه ابن النديم في الفهرست يقول: «حبيش بن الحسن الأعسم، وكان نصرانياً

(١) ماكس مايرهوف، العلوم والطب، مقالة في «تراث الإسلام»، بإشراف توماس أرنولد، ص ٤٥٦.

وأحد تلاميذ حنين والناقلين من السرياني إلى العربي. وكان حنين يقدمه ويعظمه ويصفه ويرضى نقله. وله من الكتب سوى ما نقل: كتاب الزيادة في المسائل التي لحنين»[1].

أما ابن القفطي، فكما تعوّدنا منه، يأخذ كلام ابن النديم كما هو بدون تعديل أو تحريف، ويزيد عليه من عندياته، فينقل نص ابن النديم السابق، ويضيف: «وقيل: من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له، فإن أكثر ما نقله حبيش نسب إلى حنين، وكثيراً ما يرى الجهّال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش فيظن الغُيَّرُ منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صُحّف فيكشطه ويجعله حنين»[2].

وقد أثبت ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» فقرتين عن حبيش الأعسم، يقول في إحداها: «حبيش الأعسم بن الحسن الدمشقي، وهو ابن أخت حنين بن إسحق، ومنه تعلم صناعة الطب، وكان يسلك مسلك حنين في نقله وكلامه وأحواله، إلا أنه كان يقصّر عنه. قال حنين عنه: إن حبيشاً ذكي مطبوع على الفهم، غير أنه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه، بل فيه تهاون، وإن كان ذكاؤه مفرطاً وذهنه ثاقباً. وحبيش هو الذي تمم كتاب «مسائل حنين» في الطب بل وضعه للمتعلمين وجعله مدخلاً إلى هذه الصناعة»[3]. وفي فقرة سابقة، حين تحدث ابن أبي أصيبعة عن كتاب المسائل لحنين، ذكره قائلاً: «وليس جميع هذا الكتاب لحنين بل إن تلميذه الأعسم حبيشاً تممَّه. ولهذا قال ابن أبي صادق في شرحه له أن حنيناً جمع معاني هذا الكتاب في طروس ومسودات بيّض منها البعض في مدة حياته. ثم إن حبيش بن الحسن تلميذه وابن أخته رتب الباقي بعده، وزاد فيه من عنده زوائد، وألحقها بما أثبته حنين في دستوره»[4]. هذا وقد وصفه ابن أبي

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٩٧.

(٢) ابن القفطي، أخبار العلماء، ص ١٧٧.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧٦.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧١.

أصيبعة بأنه «ناقل مجوِّد يلحق بحنين وإسحق»[1]. أما بروكلمان فذكر عن حبيش أنه «عاش في بلاط المتوكل وخلفائه حتى قرب نهاية القرن الثالث. ولا يتيسر دائماً التمييز على وجه قاطع بين نقوله ونقول خاله، وكان هو يعاون خاله كثيراً في النقل. وقد أدى تشابه رَسْمَي اسميهما في المخطوطات إلى بعض الخلط بين ترجماتهما»[2]. ورأى بروكلمان هذا شايعه ماكس مايرهوف في فقرة هامة، في مقدمته التي أضافها لكتاب العشر مقالات في العين، والذي نشر في القاهرة ١٩٢٨، يقول مايرهوف: «وأنا على ثقة من أن كثيراً من التراجم الزائفة المذكورة آنفاً قد نسبت خطأ إلى حنين. إذ كانت تلك عادة بعض مؤرخي تراجم الحياة في اللغة العربية. ومما أوقعهم في هذه الأخطاء تشابه اسمي حنين وحبيش في الكتابة الخطية أيام أن كانت الحروف لا تنقط فكانا يرسمان هكذا: «حس»، و «حسس»[3].

وقد ذكر ابن القفطي الكتب التي عرَّبها حبيش من مؤلفات جالينوس على النحو التالي:

١ ـ كتاب النبض الكبير. ١٦ مقالة.
٢ ـ حيلة البرء.
٣ ـ التشريـح.
٤ ـ تشريح الحيوان.
٥ ـ تشريح الحيوان الميت. مقالتان.
٦ ـ علم بقراط بالتشريح.
٧ ـ كتاب تشريح الرحم.
٨ ـ الحاجة إلى النبض.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧٩.
(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ ٤، ص ١١٧.
(٣) ماكس مايرهوف، كتاب العشر مقالات في العين، ص ٣٢.

٩ ـ الحركة المجهولة.
١٠ ـ آراء بقراط وأفلاطون.
١١ ـ منافع الأعضاء.
١٢ ـ الكيمــوس.
١٣ ـ تركيب الأدوية. ١٧ مقالة.
١٤ ـ الرياضة بالكرة الصغيرة.
١٥ ـ الحثُّ على تعلم الطب.
١٦ ـ تدبير الأصحاء.

أما صاحب الفهرست[١] فقد ذكر لنا ما نقله حبيش من كتب جالينوس بصورة وافية:

١ ـ كتاب تعرف علل الأعراض الباطنة، نقل حبيش ست مقالات.
٢ ـ كتاب النبض الكبير، نقل حبيش ست عشرة مقالة أربعة أقسام.
٣ ـ كتاب تدبير الأصحاء، نقل حبيش ست مقالات.
٤ ـ كتاب حيلة البرء، نقل حبيش إلى العربيّ.

هذا ما أثبته ابن النديم من الكتب الستة عشر التي لجالينوس والتي كان يقرأها الأطباء في الإسكندرية، وترجمه حبيش، أما بقية الكتب فترجمها حنين. وفيما عدا ذلك فقد ترجم من كتب جالينوس:

١ ـ كتاب اختلاف التشريح نقل حبيش إلى العربي مقالتان.
٢ ـ كتاب تشريح الحيوان الميت نقل حبيش إلى العربي مقالة.
٣ ـ كتاب تشريح الحيوان الحي نقل حبيش إلى العربي مقالتان.
٤ ـ كتاب في علم بقراط بالتشريح نقل حبيش إلى العربي خمس مقالات.
٥ ـ كتاب في علم أرسطوطاليس في التشريح نقل حبيش ثلاث مقالات.
٦ ـ كتاب تشريح الرحم نقل حبيش إلى العربي مقالة.

(١) راجع: ابن النديم، الفهرست، ص٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥.

٧ ـ كتاب الحاجة إلى النبض نقل حبيش مقالة.

٨ ـ كتاب العادات نقل حبيش مقالة.

٩ ـ كتاب آراء بقراط وأفلاطون نقل حبيش إلى العربي عشر مقالات.

١٠ ـ كتاب منافع الأعضاء نقل حبيش وإصلاح حنين.

١١ ـ كتاب خصب البدن نقل حبيش مقالة.

١٢ ـ كتاب المني نقل حبيش مقالتان.

١٣ ـ كتاب الكيموس نقل حبيش مقالة إلى العربي.

١٤ ـ كتاب تركيب الأدوية نقل حبيش الأعسم سبع عشرة مقالة.

١٥ ـ كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة نقل حبيش مقالة.

١٦ ـ كتاب الرياضة بالكرة الكبيرة نقل حبيش مقالة.

١٧ ـ كتاب الحث على تعلم الطب نقل حبيش مقالة.

١٨ ـ كتاب الأخلاق نقل حبيش أربع مقالات.

١٩ ـ كتاب انتفاع الأخيار بأعدائهم نقل حبيش مقالة.

٢٠ ـ كتاب في أن قوى النفس تابعة لمزاج لبدن نقل حبيش مقالة.

٢١ ـ كتاب المدخل إلى المنطق نقل حبيش مقالة.

ويذكر ألفريد جيوم في مقال له عن «الفلسفة وعلم الكلام»، صدر في تراث الإسلام، أنه إذا ما أضيفت أعمال حبيش إلى ما قام به حنين بن إسحق «لم يعد باقياً الشيء الكثير من العلم المعروف في عالم ذاك الزمن ولم ينقل إلى العربية»[1]. وفي فقرة أخرى هامة أضافها ماكس مايرهوف يتحدث فيها عن أعمال إسحق وحبيش اللذان يعتبرهما أكثر تلامذة حنين ذكاءً وشهرةً، يقول: «وبهذه الطريقة نقل إلى العالم الإسلامي كل التراث العلمي الضخم الذي خلفه جهابذة اليونان»[2].

إنه على الرغم من أن إسحق بن حنين كان علامة جهبذ مثل أبيه، وقد

---

(١) ألفريد جيوم، الفلسفة وعلم الكلام، مقال في «تراث الإسلام»، ص ٣٦٥.

(٢) ماكس مايرهوف، العلوم والطب، ص ٤٥٤.

يجد القارىء أنه كان من الأجدر أن نتناوله باعتباره العلم الرئيسي في مدرسة حنين؛ إلا أننا فضلنا أن نشير لحبيش بن الحسن الأعسم لأنه ارتبط بحنين، وحدث بعض الخلط بينهما أحياناً، وكان حنيناً يشاوره ويأخذ برأيه ويعمل به، وكثيراً ما دقَّق في التراجم مع حنين. هذا وقد برهن فرانز روزنتال[1] في أكثر من موضع على أهمية شخصية حبيش الذي نجح مع حنين وإسحق في نحت وصك مصطلحات فنية ذات درجة عالية من الجودة، بالإضافة إلى سلاسة الأسلوب، والعبارات التي صيغت فيها. أضف إلى هذا أن «من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له».

٢ ـ إسحق بن حنين (+ ٢٩٨ هـ):

شخصية رئيسية وهامة في مدرسة حنين بن إسحق، نقل من الكتب الهامة مثلما فعل أبيه، واشتغل بالفلسفة والطب. يقول عنه ابن النديم في الفهرست: «أبو يعقوب إسحاق بن حنين يجار أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية. وكان فصيحاً بالعربية يزيد على أبيه في ذلك»[2].

أما ابن أبي أصيبعة فيذكر في العيون أنه: «كان يلحق بأبيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها، إلا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب أرسطوطاليس في الحكمة وشروحها إلى لغة العرب»[3].

وماكس مايرهوف الذي كتب دراسات رائعة عن حنين بن إسحق، ذكر

---

(١) راجع:

- Rosenthal, F., «State and Religion According to Abu l-Hasan al-'Amiri', **Islamic quarterly**, III, 1956, p. 45.
- Rosenthal F., **The Classical Heritage in Islam**, Rutledge and Kegan Paul, London, 1975, p. 8.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨٥.
(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧٤.

في مواضع متعددة ولده إسحق، يقول: «وإسحق هو أعظم مترجم لكتب أرسطو إلى العربية. ولكن معلوماته في اللغة العربية كانت قليلة جداً بحيث إنه لم يتمكن من حسن الترجمة. ولقد راجع حنين كثيراً من تراجمه»[١].
ومن الطبيعي أن نسمع مثل هذه العبارات من ماكس مايرهوف، ذلك أنه حين يذكر أن إسحق «لم يكن من حسن الترجمة»، إنما كان يصدر حكمه على الرجل وترجمته من خلال نموذج ثابت في عقله وهو «كتابات حنين» التي جذبت حلاوتها القراء وأخذت عليهم ألبابهم. ومع هذا يعترف ماكس مايرهوف بأن إسحق بن حنين شخصية رئيسية في مدرسة حنين، لعب دوراً هاماً في استكمال سيرة أبيه، فهو «الذي ترجم بقية كتب أرسطو وشراحه، وأهم الكتب الرياضية والبصرية لإقليدس»[٢]. ومن المألوف أن نقرأ في كتب التراث أن كتاب أصول الهندسة لإقليدس الذي نقله الحجاج بن مطر نقلين أحدهما في عهد هارون الرشيد والآخر على عهد المأمون، كان على إسحق بن حنين أن ينقله نقلاً جيد، أصلحه ثابت بن قرة الحراني. ومن أمهات الكتب التي نقلها إسحق كتاب المجسطي وقد أصلح ثابت نقله.

وينبغي ألا يتبادر إلى الذهن أن قولنا: «فلان أصلح نقل فلان»، يعني أن من نقل وترجم يتسم بالضعف في الترجمة، أو هو لا يقوى عليها؛ فليس هذا المعنى هو المقصود، وإنما ما نعنيه أن «من أصلح» هو المراجع الذي وضع اسمه وخاتمة على النقل ليجيزه للقراء، فالرجوع للثقة هنا ضروري لاعتماد ما نقل، وكأن هذه العملية هي جواز المرور الصحيح للقارىء.

ولقد ذكر ابن النديم[٣] في الفهرست نقولات كثيرة لإسحق بن حنين، خاصة تلك التي تتعلق بالفلسفة الأرسطية، مثل كتاب النفس والكون والفساد، والطوبيقا والأخلاق، وأنالوطيقا وباري أرميناس، ومقالة اللام، وريطوريقا.

---

(١) ماكس مايرهوف، كتاب العشر مقالات في العين، ص ٣١.
(٢) ماكس مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، ص ٥٨.

وأورد ابن أبي أصيبعة[1] قائمة بمؤلفات إسحق بن حنين على هذا النحو:

١ ـ كتاب الأدوية المفردة.
٢ ـ كُنَّاش لطيف يعرف بكُنَّاش الخُف.
٣ ـ كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب وأسماء جماعة من الحكماء والأطباء.
٤ ـ كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان.
٥ ـ كتاب إصلاح الأدوية المسهلة.
٦ ـ اختصار كتاب إقليدس.
٧ ـ كتاب المقولات.
٨ ـ كتاب إيساغوجي وهو المدخل إلى صناعة المنطق.
٩ ـ إصلاح جوامع الإسكندرانيين لشرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط.
١٠ ـ كتاب في النبض على جهة التقسيم.
١١ ـ مقالة في الأشياء التي تفيد الصحة والحفظ وتمنع من النسيان.
١٢ ـ كتاب صنعة العلاج بالحديد.
١٣ ـ كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم.
١٤ ـ مقالة في التوحيد.

أما ابن القفطي[2] فقد أشار في تاريخ الحكماء في مواضع متعددة ومتفرقة إلى الترجمات التي قام بها إسحق بن حنين، وكل التفسيرات والشروحات التي نقلها من اليونانية إلى السريانية أو العربية، وإصلاح ثابت ابن قُرّة الحراني لأعماله،وجاءت قائمة ابن القفطي في هذا الصدد مستمدة من ابن النديم أصلاً.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ٢٧٥.
(٢) راجع: ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٦٤، ٩٨.

٣ ـ موسى بن خالد:

ذكر ابن النديم[١] في الفهرست أن: «موسى ويوسف ابنا خالد، وكان يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية إلى العربية»، وقد ورد قول ابن النديم هذا ذاكراً إياهما في زمرة النقلة من الفارسي إلى العربي.

وفي طبقات الأطباء لابن جُلْجُل[٢] جاء أن المتوكل على الله اختار حنين للترجمة، وجعل له كتاباً نحارير عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا كاصطفن بن يسيل وموسى بن خالد الترجماني ويحيى بن هارون. ونجد أن هذا النص ذاته ينقله ابن القفطي[٣] في تاريخ الحكماء.

أما ابن أبي أصيبعة فيذكر عن موسى بن خالد أنه: «كان لا يصل إلى درجة حنين أو يقرب منها»[٤]، وأنه وجد من نقل موسى ابن خالد كتباً كثيرة من الستة عشر التي لجالينوس وغيرها.

٤ ـ عيسى بن يحيى بن إبراهيم:

كان فهرست ابن النديم[٥] ولا يزال معيناً لا ينضب لكل باحث في التراث، فمما ذكره ابن النديم حين عرض لأسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي، كما ذكر أيضاً أن من تلامذة حنين بن إسحق ومن الناقلين المجودين عيسى بن يحيى بن إبراهيم.

ويتفق ابن أبي أصيبعة مع رأي ابن النديم فيقول عنه: «كان أيضاً

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ٣٤٢.
(٢) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٦٩.
(٣) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ١٧١.
(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٨١.
(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤١.

تلميذاً لحنين بن إسحق، وكان فاضلاً، أثنى عليه حنين ورضي نقله، وقلّده فيه»[1].

ويثبت ابن القفطي في أكثر صفحات تاريخ الحكماء التي أورد فيها ذكر فلاسفة اليونان ومؤلفاتهم التي ترجمت في العالم الإسلامي إبان تلك الفترة الهامة من تاريخ العلم في الشرق العربي، يذكر المؤلفات المختلفة ومترجميها، وتبيّن من مواضع متعددة فيها أن عيسى بن يحيى أجرى ترجمات عديدة تحت إشراف أستاذه حنين بن إسحق، وقد ذكره ابن القفطي بقوله إنه: «من تلاميذ حنين والناقلين المجيدين من اليوناني إلى العربي وله تصنيف في الطب»[2]. ومما يذكره القفطي أنه نقل كتاب السبعين لأورياسيوس، وفسر الثماني مقالات لأبقراط من أبيديميا، ونقل كتاب الفصد لجالينوس، والأدوية المقابلة للإدواء، وفي أن المحرك الأول لا يتحرك. هذا بالإضافة إلى ما أشار إليه حنين بن إسحق من مترجمات عيسى في رسالة التي بعث بها إلى علي بن يحيى.

ويذكر ابن النديم وابن القفطي معاً أن من سعادات حنين أن ما نقله حبيش بن الحسن الأعسم وعيسى بن يحيى وغيرهما إلى العربي ينحل إلى حنين. ولكننا نشك في حجية هذه العبارة إذ أن إسهامات حنين جاءت قبل أن يتتلمذ هؤلاء عليه بسنوات طويلة.

٥ ـ عيسى بن علي:

شخصية أخرى هامة من المترجمين والناقلين الذين عملوا تحت رياسة حنين، قال عنه ابن النديم: «عيسى بن علي من تلاميذ حنين، وكان فاضلاً. وله من الكتب كتاب «المنافع التي تستفاد من أعضاء الحيوان»[3].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧٩.

(٢) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٢٤٧.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٤١٤.

ويذكر ابن القفطي في تاريخ الحكماء أن «عيسى بن علي من تلاميذ حنين. وكان فاضلاً مصنفاً، مشهور التصنيف. ومن ذلك كتاب «تذكرة الكَحّالين»، وعليها عمل أطباء هذا النوع في كل زمان، كتاب المنافع»[١].

على حين أن ابن أبي أصيبعة وجده أجلّ تلامذة حنين، يقول: «عيسى بن علي كان طبيباً فاضلاً ومشتغلاً بالحكمة وله تصانيف في ذلك. وكان قد قرأ صناعة الطب على حنين بن إسحق، وهو من أجلّ تلاميذه. وكان عيسى بن علي يخدم أحمد بن المتوكل، وهو المعتمد على الله، وكان طبيبه قديماً، ولما ولّى الخلافة أحسن إليه وشرفه وخلع عليه. ومن كتبه كتاب «المنافع التي تستفاد من أعضاء الحيوان» وكتاب «السموم» مقالتان»[٢].

وهناك أعلام آخرون كثيرون في مدرسة حنين، لهم نقولات كثيرة راجعها حنين ومنحها جواز المرور إلى القارىء.

لكن أهم ما في هذه المدرسة العلمية التي نشأت في بيت الحكمة أن التراجمة الذين عملوا مع حنين على اختلافهم كانوا يستخدمون طريقة المقابلة بين النسخ حين يترجمون، ويبحثون بحث مدقق. كما أن معظم هؤلاء أجادوا العربية واليونانية والسريانية، وبعضهم أجاد الفارسية وتمكن منها. وكانوا على علم ودراية بالمصطلحات الفنية المستخدمة يفهمون ما يترجم ولا ينقلون نقلاً حرفياً، بل يشرحون ويعلقون على المترجمات. وتغلب على هذه المدرسة أيضاً الأمانة والدقة في النقل والإشارة إلى المصادر وفهم الموضوع، وربما كان هذا أهم ما ميزهم عن اللاتين في العصور الوسطى المسيحية، يقول خير الله: «فبين ما ترجم العرب من اليونانية إلى العربية وبين ما ترجم الإفرنج من العربية إلى اللاتينية نجد البون الشاسع بين أمانة أولئك وصدق ترجمتهم وبين تقصير هؤلاء وعدم أمانتهم»[٣]، فكأن مدرسة حنين كانت بحق مدرسة علمية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

---

(١) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٢٤٧.
(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٧٧.
(٣) أمين أسعد خير الله، الطب العربي، ص ٤٦.

الفصل الثامن

حنين في الميزان

كان من الطبيعي أن تهتم بعض الدراسات في تاريخ العلوم عند العرب، والتراث الإسلامي عامه، بدراسة وتحليل عصر حنين بن إسحق، وإلقاء الضوء على هذه الشخصية الفذة.

والواقع أن الدراسات التي بين أيدينا، ووصلتنا حتى الآن، ما هي إلا مجموعة من المقالات والأوراق المتناثرة بين دفتى كتاب هنا أو هناك، أو في مجلة علمية. أو صدرت في مؤتمر من المؤتمرات؛ ولم يتوافر لنا أن أطلعنا على مؤلف كامل مخصص لذلك العبقري، بل وعلى حد علمنا لم يصدر عنه كتاباً واحداً، في الدراسات العربية، وقد يكون صدر في بعض الدراسات الأوربية باللغة الألمانية مثلاً أو غيرها مؤلفات خصصت لحنين، لكن هذا لم يتناهى إلينا على أية حال. والقائمة التي وضعها بروكلمان أو ماكس مايرهوف لا تشير إلى كتاب خصص للرجل.

وقد أوضحنا في هذا البحث أن حنين بن إسحق متعدد الجوانب، إن في الترجمة أو التأليف، له أسلوبه الخاص، وطريقته التي احتذاها التلاميذ في مدرسته. وهذه الجوانب المتعددة دفعت الباحثين والدارسين في كل مكان إلى الثناء على حنين، وخلع بعض الصفات عليه. وقد أثرنا أن نجمع بعض الأقوال والآراء الهامة التي ذكرها بعض هؤلاء، أو دونها عنه، لنبرز أهمية الرجل بين المفكرين.

يقول صاحب الفهرست، وهو أقدم مصدر لدينا كتب عن حنين بن إسحق، أنه «كان فاضلاً في صناعة الطب فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية، دار البلاد في جمع الكتب القديمة، ودخل بلد الروم»[1].

أما ابن القفطي في تاريخ الحكماء فقد نقل عن ابن النديم، ثم قال: «وكان طبيباً حسن النظر في التأليف والعلاج ماهراً في صناعة الكحل»[2].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٠٩.
(٢) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ١١٧.

لكن عبارة ابن القفطي هذه اتبعها بقوله: «وكان فصيحاً في اللسان العبراني»، وهذا خطأ واضح وقع فيه ابن القفطي، إذ أن الرجل لم يكن يتكلم العبرية، ولم ينقل عنها، ولكن مصدر خطأ ابن القفطي أنه عرف أن الترجمة السبعينية للتوراة من عمل حنين، ولكنه لم يتحقق من أنه نقل الترجمة عن اليونانية.

وعلى حين فضل صاعد الأندلسي[1]، في طبقات الأمم، وصفه بأنه «أحد أئمة التراجمة بالإسلام»؛ آثر الذهبي[2] في كتابه العبر في خبر من غبر أن يصفه «شيخ الأطباء بالعراق».

لكن ابن خلكان[3] خلع عليه بعض الأوصاف الهامة في كتابه وفيات الأعيان فيرى أنه «كان إمام وقته في صناعة الطب»، وأنه كان يجيد لغة اليونانيين إجادة تامة، «وأكثر كتب الحكماء والأطباء كانت بلغة اليونان فعرّبت، وكان حنين المذكور أشد الجماعة اعتناءً بتعريبها من غيره». وقد شارك اليافعي اليمني المكي[4]، ابن خلكان في رأيه عن حنين بن إسحق.

أما البيهقي[5] في تاريخ حكماء الإسلام، فقد وجد في نشاطه ومجهوده وجهاً من التحدي للعصر حيث يقول «ولم توجد هذه الأزمنة بعد الإسكندر أعلم منه باللغة العربية واليونانية».

وفي مؤلفه تاريخ الطب العربي وجد لوكلير أن هذا الرجل يُعد أكبر وجه علمي في القرن التاسع الميلادي، وأنه من أذكى الناس، وأعماله في

---

(١) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٥، ونفس المعنى نقله الشطي في كتابه عن الطب عند العرب، ص ٧٨.
(٢) الذهبي، العبر في خبر من غير، ص ٢٠.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص ٢١٧.
(٤) اليافعي المكي، مرآة الجنان، ص ١٧٢.
(٥) البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، ص ١٦.

تنوعها وتفوقها وأهميتها، وكل ما تحمله من مشاق من أجل العمل العلمي الجاد، كل هذا جعله يتبوء مكان الصدارة في عصره[١]. ولا يقدح فيه بعض التهم التي رمى بها مثل الكتابة على ورقة ثخين أو شرب النبيذ، أو البصق على أيقونة العذراء.

أما ماكس مايرهوف[٢] الذي أعمل قلمه مدة طويلة من الزمان باحثاً في فكر حنين بن إسحق، محققاً لبعض أعماله الهامة، ويعتبر بحق خبيراً بكتاباته يذكر أن الرجل نزل ميدان الترجمة ولم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وقد أصبح زعيم المترجمين العرب والسريان بلا منازع. ومن موضع آخر[٣] يصف أسلوبه بأنه كان وافياً بعلم اللغات، وأنه كان ناقداً بارعاً، لم يتورع عن نقد كتاباته ذاتها وهو في مقتبل عمره. وفي موضع ثالث[٤] يذكر مايرهوف حنين بن إسحق بأنه «الفيلسوف العبقري العظيم المواهب والطبيب النطاسي الواسع الإطلاع، والشخصية الرئيسية في عصر المترجمين».

إلا أن الفريد جيوم[٥] آثر أن يصف الرجل عن طريق نشاطه ومجهوده العلمي الدائم فبيَّن أنه طاف البلاد بحثاً عن الكتب والمخطوطات، وأنه في سفراته ورحلاته كان يريد أن يقف على كل ما وعى العالم القديم من الطب.

أما أبوريان[٦] فيذكر أن العصر الذهبي للترجمة هو عصر حنين ابن إسحق ويمثل المرحلة الثانية من التطور العلمي الهام، وهذا العصر شهد دقة في الترجمة من اليونانية إلى السريانية، ومن اليونانية والسريانية معاً إلى

---

(١) L'eclerc, L., **Histoire de la Médecine Arabe,** T.I. p. 139.
نقلاً عن قنواتي، مرجع سابق، ص ١٢٨.
(٢) ماكس مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، ص ٥٨.
(٣) ماكس مايرهوف، كتاب العشر مقالات من العين، ص ٢٩.
(٤) ماكس مايرهوف، العلوم والطب، ص ٤٥٤.
(٥) الفريد جيوم، الفلسفة وعلم الكلام، ص ٣٦٥.
(٦) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص ٢٤ وما بعدها.

العربية، وكانت تلك مهمة مدرسة حنين التي عملت برياسته وقدمت أروع الكتابات والمخطوطات القديمة إلى الفكر.

لكن زيجرد هونكه[1] التي تتبعت الإبداع العربي الإسلامي في مجالات عديدة من النشاط الفكري والعملي وجدت أن حنين بن إسحق هذا أكبر مثل للكفاح الرائع من أجل بعث الفكر القديم وتراثه. وأن ترجماته كانت تصيب المعنى بدقة ووضوح. وأن هذا الرجل العبقري تمتع بمعرفة واسعة في كل فروع المعرفة، وكان سيد المادة التي يترجمها، يضيف على مواضع الضعف أو الغموض من عنده نوراً يجلوها، ويخلع عليها ثوباً قشيباً.

وروزنتال[2] الذي اهتم بالتراث الإسلامي، وكذا مناهج البحث عند المسلمين وصف أسلوب الرجل بأنه يتميز بالرتابة والدقة، وأن المستوى العلمي الذي كان يعمل عليه لم يصل إليه المشتغلون بالأدب العربي ولافاقوه من حيث الجودة والأمانة.

وفي تراث الإسلام الذي دونه شاخت وبوزورث[3] ذكر أن حنين بن إسحق أفضل المترجمين من اليونانية إلى العربية وأغزرهم إنتاجاً، وأن ميزته الكبرى تكمن في الطريقة اللغوية التي استعان بها في تحقيق النصوص الإغريقية، وفهمه للأصول، بصورة فاق بها كل رفاق العصر.

أما قنواتي وسامي حداد، فقد آثرا أن يصفا الرجل عن طريق أسلوبه وعمله، فيذكر قنواتي[4] أنه كان حريصاً على تأدية المعنى بدقة، فاهماً لمقتضيات النشر العلمي ووجوب الرجوع إلى أحسن المخطوطات، ومن ثم امتازت ترجماته برصانة الأسلوب العربي. وكذلك فعل سامي حداد[5] الذي وجد أن الرجل كان شديد الأمانة من نقله وترجمته.

(١) زيجرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٧٩ - ص ٣٨٣.
(٢) روزنتال، مناهج علماء المسلمين، ص ٧٢ - ص ٧٣.
(٣) شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، ص ٨٨ - ص ٨٩.
(٤) قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير، ص ١٢٢ - ص ١٢٣.
(٥) سامي حداد، مآثر العرب في العلوم الطبية، ص ١٧.

أما براون[1] فقد زعم أن الرجل لم يكن أشهر المترجمين فحسب وإنما كان أكثرهم إنتاجاً، لأن سبعة من مؤلفات أبو قراط العشرة التي ذكرت في الفهرست تم ترجمتها بمعرفة حنين، وأشرف هو ذاته على ترجمة الثلاثة الباقية، كما أن أكثر كتب جالينوس نقلت بترجمته. ولا شك أن عملية النقل والترجمة عند المسلمين تمت بدون النظر إلى أجناس المترجمين وأديانهم. وبلغة حنين بن إسحق أصبحت اللغة العربية لغة علمية تصلح للنقل والتدريس ولوضع المصطلحات العلمية الفنية.

تلك بعض الأقوال والعبارات التي وصف بها حنين بن إسحق في الكتابات العربية والأجنبية. ومع هذا احسبني أنني لم أوفي الرجل حقه، وربما أتيحت لي الفرصة في وقت لاحق أن أوسع هذا البحث بصورة أكثر ملائمة لمجهودات هذا الرجل العبقري.

---

(١) براون، الطب العربي، ص ٤٣ ـ ص ٤٤.

المصادر

- **ابن أبي أصيبعة**، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (+ ٦٦٨ هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.
- **ابن جُلْجُلْ**، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد رشيد، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥.
- **ابن خلكان**، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الثاني، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.
- **ابن الجوزي**، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ ٥، ط ١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ١٣٥٧ هـ.
- **ابن العبري**، أبو الفرج جريجوريوس الملطي (+ ٦٨٥ هـ)، تاريخ مختصر الدول، بيروت، بدون تاريخ.
- **ابن القفطي**، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (+ ٦٤٦ هـ)، تأريخ الحكماء وهو مختصر الزَوْزَنيّ المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى ببغداد، ومؤسسة الخانجي بمصر.
- **ابن القفطي**، إنباه الرواة على إنباه النحاة، مطبعة دار الكتب المصرية، جـ ٣، ١٩٥٥.
- **ابن النديم**، أبو الفرج إسحق بن يعقوب (+ ٣٨٥ هـ)، الفهرست، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤٨ هـ.
- **البيهقي**، ظهير الدين (+ ٥٦٥ هـ) تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٤٦.
- **الخوانساري الأصبهاني**، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات في أحوال

العلماء والسادات، تحقيق أسد الله إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، تهران، قم، جـ٣، ١٣٩١ هـ.
- الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد سيد، جـ٢، الكويت، ١٩٦١.
- الصفدي، الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك (+ ٧٦٤ هـ)، الغيث المسجم في شرح لأمية العجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الأول، ط ١، ١٩٧٥.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (+ ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيـي الدين عبد الحميد، جـ٤، القاهر، ١٩٥٨.
- اليمنى المكي، الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمـان، جـ٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٧٠.
- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، بيروت، بدون تاريخ.

ترجمـــات

- **أرنولد، توماس**، تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة دار النشر، بيروت ط ٢، ١٩٧٢.
- **أوليري، دي لاسي**، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧. وقد ترجمه أيضاً وهيب كامل وراجعه زكي علي، بعنوان علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، وصدر عن مكتبة النهضة المصرية، سلسلة الألـف كتاب، ٣٩٥، القاهرة، ١٩٦٢.
- **براون، إدوارد ج**، الطب العربي، ترجمة أحمد شوقي حسن، محمد عبد الحليم العقبي، الألف كتاب، ٦٣٠، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦.
- **بروكلمان، كارل**، تاريخ الأدب العربي، جـ ٤، ترجمة السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥.
- **روزنتال، فرانز**، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١.
- **شاخت وبوزورث**، تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس، إحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.
- **هونكه، زيغريد**، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوربة، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٦، ١٩٨١.

أبحـــاث ومقـــالات

- جيوم، ألفريد، «الفلسفة وعلم الكلام»، بحث في كتاب تراث الإسلام، وضع سير توماس أرنولد، ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢.
- جيوم، ألفريد، «الفلسفة والألهيات»، هي ذات المقالة السابقة بترجمة توفيق الطويل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.
- حسين، محمد كامل، «في الطب والأقرباذين»، مقال في أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.
- مايرهوف، ماكس، «من الإسكندرية إلى بغداد»، بحث صدر في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: دراسات لكبار المستشرقين، نشره عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٠، ص ص ٣٥ ـ ١٠٠.
- مايرهوف، ماكس، «العلوم والطب»، بحث صدر في تراث الإسلام، إشراف سير توماس أرنولد، ترجمة جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢، ص ص ٤٤٥ ـ ٥١٤.

تحقيق مؤلفات ورسائل

- حنين بن إسحق، رسالة إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يُترجم، نشرها عبد الرحمن بدوي في دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ص ١٤٩ - ١٧٩.
- حنين بن إسحق، كتاب العشر مقالات في العين، تحقيق وتقديم وترجمة ماكس مايرهوف (طبعة عربية إنجليزية)، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٨.
- حنين بن إسحق، المسائل في الطب، تحقيق وتعليق، محمد علي أبو ريان، جلال موسى، مرسي عرب، دار الجامعات المصرية، إسكندرية، ١٩٧٨. (ولم يتوفر لي أثناء إعداد هذا البحث).

مـراجــع عربيــة

- أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٨٥.
- البهي، محمد، الجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.
- الشطي، أحمد شوكت، الطب عند العرب، مؤسسة المطبوعات الحديثة، سلسلة مع العرب، ٢٧، بدون تاريخ.
- القرنى، أحمد عزت، قصة الطب عند العرب، مطابع الدار القومية، بدون تاريخ.
- الزركلي، خير الدين، قاموس تراجم الرجال والنساء، جـ٨، دار العلم للملايين، بيروت.
- بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: دراسات لكبار المستشرقين، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، ١٩٤٦.
- بدوي، عبد الرحمن، دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.
- برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم محمد حمدي البكري، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩.
- حداد، سامي، مآثر العرب في العلوم الطبية، مطبعة الريحاني، بيروت، ١٩٣٦.

- خير الله، أمين أسعد، الطب العربي: مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٦.
- دياب، محمود، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
- عرب، مرسي محمد، لمحات عن التراث الطبي العربي، منشأة المعارف، إسكندرية، ١٩٧٥.
- فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت، طبعات ١٩٧٠ - ١٩٧٧.
- قنواتي، الأب جورج شحاتة، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨.
- مرحبا، عبد الرحمن، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٠.

المــراجــع الأجنبيــة

1 - **Brockelmann, C., History of the Islamic People,** Routledge and Kegan Paul, London, 1948.
2 - **Mayerhaf, M.,** 'An Arabic Compendium of Medico-Philosophical Definitions' **Isis,** Vol. X, 1928, PP. 340-349.
3 - **Mayerhaf, M.,** 'New Light On Hunain b. Ishâq', **Isis,** Vol. VIII, 1926, PP. 648-724.
4 - **Rosenthal, F (ed).,** Ishaq b. Hunain's Short 'Chronology of Physicians', in **Oriens,** VII (1954), PP. 55-80, and in **Journal of the American Oriental Society** LXXXI (1961)
5 - **Rosenthal, F.,** 'State and Religion According to Abu I-Hasan al-'Amiri', **Islamic Quarterly,** III, 1926, P. 45.
6 - **Rosenthal, F., The Classical Heritage in Islam,** London, Rautledge and Kegan Pual, 1975.
7 - **Walzer, R., Greek into Arabic,** Oxford, 1962

الفهـرس



020
2
081

